نقطة.. رجوع إلى السطر

رواية

سناء البريتي

نقطة.. رجوع إلى السطر

سناء البريتي

الطبعة الأولى: يناير ٢٠١٦ .

تصميم الغلاف: م. دعاء عبد اللطيف

تدقيق لغوي: رباب الشهاوي

المدير العام: رباب الشهاوي

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: **2015/2٥٣٢٢**

رقم الإيداع الدولي: **ISBN: 978-977-6534-06-3**

Alfouad_publishing@hotmail.com
facebook.com/fouadpublishing





نقطة.. رجوع إلى السطر

رواية لـ

سناء البريتي





إهداء

إلى أمي:

لا كلمة تصفك يا أمي، لا أبجدية ولا حروف، فإن كان الله جعل الجنة تحت أقدامك، فمن أنا حتى أصفك بحروف..

إلى من أهدتني قلمي الضائع، إلى من انتشلتني مني وأعادتني إلي..

إلى من آمنت بي في وقت لم أعرف فيه من أكون..

إلى التي زرعت الورد في طريقي بينما كنت أمسك بالشوك..

إلى الصديقة والأخت التي لم تلدها أمي،

شيماء أحمد.

إلى سبب وجودي وابتساماتي، إلى فرحتي وآمالي..

إلى نصفي..وبعضي وكلي..

إلى الحبيبة الغالية أختي،،

زينب البريتي،،

إلى عائلتي وأصدقائي..

الكاتبة:

سناء البريتي..

مقدمة

هل سبق وأن فكرت أن تعد الثواني؟

هل يمكن أن تغير الثانية حياتك؟

أجل الثانية قد تجعل متسابقا يفوز بميدالية ذهبية،

الثانية قد تمنع شخصا من الموت..

الثانية قد تعيد ابنا إلى حضن والدته..

أو حتى زوجا إلى عائلته..

الثانية قد تنقذ أو تهدم حياة أشخاص..

هل سبق وفكرت أن تعد الثواني؟؟

إن كنت لم تفعل..

فغيرك قد فعل..

(١)

رجوع إلى السطر

تك..تك..

الساعة الخامسة إلا ثلاث دقائق؛

تك..تك..

الساعة الخامسة إلا دقيقتين ؛

تك..تك..

الساعة الخامسة إلا دقيقة؛

تك..تك..

الساعة الخامسة

رائحة القهوة تنبعث من المطبخ. رن جرس الباب وبثقل شديد رفعت نفسها عن الكنبة، أطفأت النار على القهوة ثم اتجهت نحو الباب:

-مساء الخير.

أجاب بنفس الهدوء وكأنه يرد تحيتها:

-انتظرت ثلاث دقائق وعشرون ثانية على الباب.

-كنت أطف..

أشار بسبابته لتسكت ثم خلع سترته ومدها اليها. علقتها على المشجب كعادتها ثم تقدمت نحوه وهي تعدل شعرها الطويل وتحاول أن تجعله على شكل كعكة قائلة:

-لقد غفوت.

طأطأة رأسها جعلتها تشعر وكأنها تلميذة في الصف الخامس لم تنجز تمارينها بشكل جيد.

-قهوتي من فضلك.

بلعت ريقها بصعوبة وهي التي كانت تنوي مجالسته، كيف خطر هذا على بالها؟

ـ أحضرت له فنجان قهوته كالعادة دون سكر.

وضعتها على الطاولة وتراجعت بضع خطوات.. فمنذ أن سكب عليها فنجان قهوة ساخن لأنها نسيت ووضعت له سكراً، لم تعد تأمن اقترابها منه. عموماً هي لم تعد تأمنه في أي وقت و لأي سبب.

ارتشف منها رشفة واحدة، ثم أبعدها بيديه بشكل مدروس وتوجه لمكتبه ليقفل عليه.

لم تجرؤ على سؤاله ما خطأ فنجانها هذه المرة حتى لا تصطدم بجوابه، والذي كانت في الحقيقة تعلمه مسبقاً. فقد تأخرت على القهوة بأكثر من دقيقتين.

حملت الفنجان، ارتشفت مافيه بشكل عفوي ووضعته بالحوض وهي تفكر في حياتها السابقة كعادتها منذ أكثر من سنة، حولت نظرها نحو نافذة المطبخ وهي تبتسم لصوت ضحك أطفال من بعيد ثم مسحت يديها وهي لا تزال تستمع بفرح كمن كان ينصت لغناء ملائكة السماء. سمعت صوت اغلاق الباب فعرفت أنه خرج، لكن حدسها يعلمها أن هذه الليلة لن تقف هنا، فهو مجرد هدوء يسبق العاصفة.

تابعت تأملها لأولئك الأطفال وهي ترفع نفسها لتطل من النافذة. كان صوتهم يأتيها من باحة المبنى الراقي حيث توجد شقتهما، ثلاثة

أطفال انضمت إليهم طفلة شقراء تحمل دمية تبدو أكبر منها في حين يدور الأولاد الثلاثة حولها بعجلاتهم، وضحكهم يتعالى شيئاً فشيئاً.
وبينما تتابع (نجاة) مرحهم بخشوع، تفاجأت بصوت رجالي يأتيها من نافذة الجار وهو يلقي تحيته المسائية. بدا عليها التوتر وهي تشير برأسها مجيبة تحيته بكلمات مقتضبة لتسرع وتقفل النافذة.
أخذت دقات قلبها تتسارع حتى طغت على أصوات الأطفال. سارعت إلى غرفتها وهي تغلق الباب من ورائها، انكمشت داخل جسدها النحيف، وغطت وجهها الجميل بوسادتها وسمحت لنفسها بالبكاء.
بكت حظها وبكت زهرة شبابها وهي تراها أمام نفسها تذبل، وأعادت ذكرى نظراتها للجار أمس حينما التقت به مع زوجته، الجميلة الشقراء والتي ورثت منها طفلتهما لون شعرها ولون عينيها العسليتين، وكيف كان يلعب مع طفلته التي أصرت أن تضغط بنفسها على زر النزول.
كانت (نجاة) تراقبهما بغبطة كبيرة أشبه بغيرة تكاد تكون بريئة، فهي وإن كانت تدرك جيداً أنها لن تنعم بحياة كالتي تشاهدها الآن أمامها، لن تحسد غيرها بما منحه الله لهم. ابتسمت وهي تخرج قبلهم في حين كانت الطفلة تصر على أن تضغط على زر الانقاذ بينما يحاول والدها أن يثنيها عن ذلك.

الحياة غير عادلة! هكذا فكرت (نجاة) وهي تخرج من باب المبنى الراقي لتمر بجانب نافورة تتوسط الفناء وقد زُينت جنباتها بالرخام والماء يتدفق منها بعنفوان، لمستها كعادتها كلما مرت بجانبها وتنهدت بعمق.

تمشت قليلاً ثم جلست بحديقة لا تبعد كثيراً عن المنزل. تناولت كتاباً من حقيبتها وبدأت تقرأه بصمت. لم تشعر كم مر من الوقت لكن عدد الصفحات التي تجاوزتها جعلها تعلم أنها قضت وقتاً طويلًا وهي جالسة وقد بدأ الجو يبرد.

كانت تهم بالنهوض حينما جلست امرأة عجوز بجانبها وهي تقول بمرح:

-جئت أؤنسك وتؤنسينني وأنت الآن ستذهبين؟

ضحكت (نجاة) وعادت تجلس بجانبها وهي تقول:

-لقد مللت وحدي والليل بدأ يحل..

سحبت العجوز سلة كانت قد وضعتها على الأرض، وتناولت منها علبة بها كيك وسخانة قهوة، سكبت منها قهوة عربية معطرة بالتوابل وناولتها قطعة كيك بالليمون..

وهي تقول:

-خذي هذا سيدفئك أكثر..

شعرت (نجاة) بالحنين لأرضها وروح الكرم التي تمتاز بها القرية وأهلها. أخذت منها الفنجان وقطعة الكيك المسقية بالبرتقال بامتنان.

تبادلتا أحاديث كثيرة كأم وابنتها التي عادت لتوها إلى حضنها، لم تشعر بعقارب الساعة وهي تخزها تنذرها أن السندريلا الجميلة لا يحق لها أن تتأخر، وعليها أن تترك الحفلة الآن، وتعود إلى كوخها حيث ينتظرها هناك مصيرها المؤلم..

أخبرتها الخالة فاطمة عن رحلتها الطويلة وكيف أخرجت من ديارها بسبب والدها الذي كان قد شارك بالحرب مع فرنسا، ومن وقتها وهي

تعيش هنا مع أولادها، وحينما وهنت الصحة لم تعد تزور المغرب وأملها الوحيد ألا تعود في صندوق مُرحّلة من هنا لتُدفن دون أن تُغَسّل بماء الأرض الحبيبة..

أخبرتها أن لديها ثلاثة أولاد، بنت وولدين كلهم متزوجون، وكل واحد منهم منشغل بحياته الخاصة، تعيش وحيدة في شقة صغيرة مع امرأة تساعدها على حياتها.

أخبرتها أن ابنها البكر، الذي رفضت من أجله العودة إلى المغرب حتى ينعم بدراسة ومستقبل جيد هنا، اقترح على اخوته أن يلقوها بدار للعجزة..

شهقت (نجاة) من شدة المفاجأة لكن الأم ربتت على يديها وهي تقول في رضى:

-ليتهم فعلوا يا ابنتي، فهناك على الأقل سيكون من يؤنس وحشتي، ومن أشكي له همي، ومن أسامره في ليلي ووحدتي.. ليتهم فعلوا.. لكنهم خافوا من كلام الناس ونظرة المجتمع لهم..

قبلّت (نجاة) يديها التي مازالت رائحة الحناء الطرية تفوح منها، كتربة خصبة تنبعث من جديد من أرض بور..

هل تبلغ قسوة الإنسان إلى الحد الذي يتبرأ من فطرته وطبيعته؟

لا تنكر أنها لطالما سمعت قصصاً عن أبناء تخلوا عن أبائهم وأمهاتهم، لكنها ما تزال حتى الساعة ترفض استيعاب كيف يستطيع الابن وبكل بساطة أن يتخلص من أم، ولدت وربت وسهرت وكبرت، ووهن عظمها في سبيل أن تجعله نافعًا للمجتمع..

جرّت حسرتها كما تجر قدميها العاجزتين عن المشي، ولم تنتبه للوقت هذه المرة إلا حينما شعرت بوخز الساعة..

هل فعلاً تخزها عقارب الساعة؟ هل تلذعها كأفعى سامة كلما مرت ساعة؟

لم تعد تتوقف كثيراً أمام هذا السؤال..

إنها التاسعة ليلاً..

يا إلهي لم تُحضّر العشاء ولم تجهّز حمام (ناصر)، ولم تحضّر ملابس نومه..

دعت الله ألا يكون قد عاد للمنزل بعد، وألا يبيت ليلته هنا..

لكن سرعان ما اكتشفت أن دعواتها لم تُستجب وأن (ناصر) يقف وسط البهو بكل جبروت ينتظرها.. ينتظر إعلان ساعة النصر، ينتظر رؤيتها ذليلة خائفة كفأر حُسر بركن الغرفة من طرف قط شرير.. كم تكره القطط على أي حال؟

تمتمت في خوف وقد شعرت أنه سيغمى عليها في أي لحظة قائلة:

-أعتذر.. لقد كنت أقرأ كتاباً ولم أشعر بالوقت..

كان يصوب نحوها نظرات كالرصاص دون أن تبدو على ملامحه معالم التأثر.

صمتت قليلًا ثم تابعت:

-لن يتكرر الأمر أعدك..

ابتسم وهو يسحب حزامه من سرواله ويجيب في برود:

-لن يتكرر الأمر..أعدك..أنا أيضاً..

تراجعت بخطواتها وهي ترجوه لكن صوتها لم يخرج، خانها فجذبها من ذراعها هامساً في أذنها، مهدداً إياها في قسوة:

-لا أريد أن تصدري صوتاً، وإلا دفنتك هنا..

وانهال عليها بالضرب..بعدما عراها كما وُلدت أول مرة..

هل صرخت؟؟

لم تكن تقو على الصراخ، لم تكن تشعر بالألم رغم ما علّم على جسدها إثر الضرب. لم تبكِ ولم تشعر بالخوف. كانت تنظر إليه بعينين مفتحتين ترفضان أن تنكسرا أمامه..

ضربها وكأنها حيوان..

لا.. فحتى الحيوانات صار لديهم جمعيات مدافعة عنهم..

ضربها وكأنها لا شيء.. نكرة، منعدمة الروح..

ثم قال بصوت محايد:

-حمامي من فضلك..

لم؟ ما الذي يرغمني على البقاء معه؟ يمكنني الهرب من هذا الجحيم، يمكنني الاتصال بالشرطة، حتى يتم اعتقاله؟

كل هذه الأسئلة دارت بعقلها وقتها لكن شيئاً ما داخلها كان يجعلها تشعر بالخوف. تخشى أن تصبح علكة في فم كل أهل القرية، أن تعود تحمل ورقة طلاقها، ورقة فشلها وعجزها، ثم ما الذي تعرف فعله؟

ومن سيصدق أنها تركت كل تلك البهرجة وراءها وأنها الضحية هنا وأنه الجلاد الذي حكم عليها بالوأد.

أنهى حمامه وهو يستمع إلى موسيقى محمد عبد الوهاب، يا ورد مين يشتريك..

يا ورد من يشتريك إن فقدت عطرك ولونك؟!
هذا ما فكرت به وهي تسكب له الشوربة، مع قطعة خبز محمصة مثبلة بالزبدة والثوم، وشرائح الدجاج المشوية..
تناول طعامه وأغلق عليه باب مكتبه..
في الصباح استيقظت (نجاة) وهي تشعر بألام بكل أنحاء جسدها، وحمدت الله أنه لم يترك آثاراً على وجهها، وقد عرفت أنه كان يقصد ذلك.
إنه يوم الجمعة، و فيه لا تنشغل (نجاة) إلا بيوم السبت. وها حدسها الآن وهي تدفن نفسها فوق سريرها الناعم، والذي يتحول إلى قطعة جليد كلما شاركها زوجها فيه.
يخبرها أن هذه الليلة ستكون مختلفة عن كل الليالي..
ماذا لو كان قد رآها أحد حراس الأمن أمس وهي تجيب تحية الجار وأنها كانت تلقي بنصف جسدها المثير من النافذة؟ حتى وإن كان السبب بريئاً فهي تعلم جيداً أن ذلك في عرف زوجها (ناصر) يعد جُرماً لا يغتفر.
لم تكن تدرك كم مر من الوقت وهي تبكي، كلما فكرت أن أحداً ما سيشي بها وسيعود مرة أخرى لينهال عليها بالضرب. كلما خرج من باب الشقة تشعر أن قلبها ينقبض عليها فجأة، وكلما دخل كان قلبها يتوقف عن الخفقان حتى تسمعه أغلق باب مكتبه مرة أخرى. لكن يبدو أنها غفت ولم تشعر بذلك إلا وهاتفها يرن.
** ** **

(٢)

أحست بألم في كل جسدها وهي تسحب الهاتف وتجيب بصوت ناعس:

-ألو!

جاءها صوت أختها (وفاء) وهي تتساءل بخبث:

-هل قاطعتك عن فعل شيء؟

ضحكت (نجاة) وهي تجيب:

- سامحك الله على نواياك السيئة دائماً.. لقد غفوت فحسب.

-وأين (ناصر)؟

-لقد خرج (نظرت إلى ساعة يدها واكملت) منذ أزيد من ثلاث ساعات.

فكرت أنها لم تغف، فكما يبدو نامت فعلاً.

تابعت (وفاء) بنفس المرح كعادتها دائمًا وهي تقترح عليها أن تدخل السكايب حتى تتمكن من أن تُريها أين وصل البناء والاصلاحات في البيت.

حاولت (نجاة) ان تؤجل ذلك ليوم آخر، لكن كل محاولاتها باءت بالفشل أمام اصرار أختها.

تذمرت وهي تنهض من الفراش كطفلة صغيرة، يتوجب عليها الذهاب إلى المدرسة:

-كم أنت لحوحة، أنا أثق فيك وفي ذوقك فقط اعفيني من كل هذا..

لبست خفها وهي تحاول أن تتذكر أين الجهاز. تمطت قليلًا وحكت شعرها، ثم دعكت وجهها وأخيراً نظرت إلى المرآة. صنعت ابتسامة

هادئة، ثم اقتربت لترى وجهها المتعب. سارعت لإخفاء ذلك التعب بالقليل من الماسكرا وحُمرة الوجه وقليل من أحمر الشفاه.

كل هذا منحها فرصة لتذكر الجهاز فتوجهت إلى المكتب، حيث يقضي (ناصر) أغلب الليل، حتى إذا استيقظت لصلاة الفجر، استلقى بجانبها كجسد بلا روح...

جلست أمام الجهاز بالمكتب وشغلته، أدخلت اسمها ورقمها السري، وماهي إلا ثوانٍ حتى ظهر اتصال أختها واستقبلته.

تحدثتا كثيراً عن أسبوعهما كيف مر، وعن تذمر (وفاء) من الأطفال ومن زوجها، ومن حياتها المشحونة بالضغط والمسؤوليات، وكم تتمنى لو أنها تستيقظ في صباح ما فتجد أنها شابة كما كانت قبلاً. ولم يفتها ككل مرة أن تعبر عن غبطتها لحياة أختها الهادئة، وتدعو من قلبها أن يرزقهما الله بطفل يدخل البهجة لبيتهما، ثم تبدأ بحمد الله على نعمة الأولاد، ثم أخيراً تحدثتا عن البناء، وأدارت الكاميرا نحو الشقة التي شارفت فعلاً على الانتهاء، فلم يبق إلا دهن الجدران، وبعض الأشغال الخفيفة.

هنأتها (نجاة) وشكرتها على مجهوداتها، لكن (وفاء) بدت سعيدة بكل ما تفعله، لذلك وعدتها (نجاة) أن ترسل لها الاسبوع القادم مبلغاً كبيراً، حتى يساعدها على انهاء الاشغال بسرعة. ورغم أن أختها حاولت أن تُثنيها عن ذلك معترفة أن المبلغ الذي أرسلته الاسبوع الماضي لم تستعمله حتى الساعة وانها ستنتهي من كل هذا خلال الأسبوع القادم. لكن بالرغم من ذلك أصرت (نجاة) ان تبعث المبلغ فشكرتها أختها ودعت لها كثيراً.

أنهت المكالمة معها وكلها شوق ليجتمعا يومًا من جديد. أطفأت الجهاز وهي تجول بعينيها حول المكان ثم شعرت بالحنين إلى كل تلك السنوات الماضية. فتحت درج المكتب وذكرى السنين لا تزال تشغل بالها، ثم أقفلته بلا مبالاة لتعود وتفتحه مرة أخرى. أعادت الكرة مرة ومرتين ثم ألقت بعينيها داخله، قلبت بين الأوراق بطرف أصابعها، دون أن تغير مكان ورقة واحدة، فهي تعلم أن (ناصر) دقيق الملاحظة وقد لا يعجبه أن تعبث بأغراضه حتى وإن كان لمجرد الفضول.

اغلقت الدرج، وهي تتنهد، فالليل لايزال طويلاً، والساعة الأن تقارب التاسعة، إنه وقت الأخبار التي ملت من مشاهدتها كل يوم.

عادت لتفتح الجهاز، فقد تشاهد فيلماً على اليوتيوب، أو ربما بحثت بالجهاز عن فيلم، فقد سبق أن شاهدت (ناصر) يشاهد فيلماً، أو هذا ما استنتجته من ملامح وجهه.

فتحت الجهاز وتوجهت نحو ملفات بحثت في عناوينها، لكنها تقريباً كلها تحوي أسماء لوثائق عمله. كان هناك ملف تحت اسم "خاص" أثار انتباهها، وحينما حاولت فتحه ظهر لها انه عليها استخدام رقم سري.

قلبت شفتيها غير مصدقة.. لم قد يحتاج لملف بهذا الاسم؟ ولم قد يضع له رقماً سرياً؟؟

اغلقت الجهاز مرة اخرى ثم ذهبت الى غرفتها. استلقت بهدوء وهي ساهمة تنظر باتجاه السقف.

هكذا تقضي (نجاة) معظم أوقاتها. فمنذ ان تزوجت قبل خمس سنوات وهي تعيش وحيدة في شقة راقية بباريس، متوفر فيها كل ما

قد تحلم به امرأة في عز شبابها، لكنها باردة جدًا، خالية من أي مشاعر قد تحتاجها امرأة.
تذكرت كيف كانت حينما عادت في الصيف إلى قريتها قبل خمس سنوات، حيث كان هناك عرس ابن عمها (بشير)، الشاب الذي عاد مؤخراً من المدينة بعدما حصل على شهادة الباكالوريا، أداب عصرية. كان قد قرر منذ وقت طويل أن يتابع دراساته الجامعية في فرنسا، لكنه بعدما توفي أخوه الأكبر عثمان في السنة السابقة، ولم يعد هناك من يساعد والده غيره، فقد اضطر إلى أن يتخلى عن حلمه شأنه شأن الكثيرين من الناس في العالم، ممن يتخلون عن أحلامهم كل يوم ويجهضونها خوفاً من المستقبل. مستقبل غير واضح، لكنهم لا يعلمون أن الأحلام تظل تلاحق أصحابها كاللعنة. فمهما ظننا أننا تخلصنا من أحلامنا كما نتخلى عن خطايانا، فلا خيانة بلا رائحة. فالأحلام تظل تلاحقنا حتى تخنقنا، تتبعنا حتى تدفننا بجانب قبرها الذي دفناها فيها سابقاً.
هكذا فكرت (نجاة) يومها وهي ترى وجه (بشير) الشاحب، وتنهيداته التي تكاد أن تمزق زر قميصه الابيض، تحت بذلته الأنيقة السوداء، حينما انتهت مراسيم الزفاف المغربي الطويلة وبدأت الخيمة تخف تدريجياً بعد ظهور الخيوط الأولى للصبح.

كُن ثلاث شابات مفعمات بالنضج المبكر، ورغم اختلاف مستواهن الدراسي والمادي إلا أنهن صديقات وبنات عم في نفس الوقت. أطلقت (نجاة) ضحكة طويلة تشبه ضحكة الممثلات المتغنجات وهي تفلت

من ابنة عمها صباح، حتى تسبقها معلقة بمرح "الأخيرة منكن ترتب الخيمة"، رافعة يد الانتصار والتي ما كادت تدرك بعد فترة أنها كانت يد انهزام، فتمنت وقتها لو أن كاحلها التوى او حتى انكسر ليمنعها من الخروج. حيث كان يقف عمها مع شاب، بدا ل(نجاة) وقتها أنه شاب طويل القامة ونحيف، لكنها لم تقف كثيراً حتى تتبين ملامحه. فقد حيت عمها بحياء ليس من عادتها واتجهت نحو الدار، والتي نُصبت أمامها خيمة الاحتفال. حيث كانت الشيخات ترقصن على أنغام العيطة وأبناء عمها يطلقون البارود بينما تهتز الأرض لخيولهم والتي تترك وراءها سحابة غبار لتتعالى الزغاريد. لقد كان عرساً يليق بمقام عمها والذي دام سبعة ليالي. حيث تُخصص الليلة الأولى لحمام العروسين، فيتم استئجار الحمام البلدي لعائلة العروس التي ترافقها بنات القرية والعائلة بالزغاريد محملة بصينية الحليب، الحناء، الورد، وماء الزهر الطبيعي. يُدهن جسد العروس بالحناء وماء الزهر، ويُخلل شعرها بالقرنفل والحناء والورد. الليلة الثانية هي ليلة الحناء، حيث تأتي النقاشة، وهي امرأة متخصصة في نقش الأيادي والأرجل بالحناء. تلبس فيها العروس قفطاناً مغربياً أخضر اللون، وهو لون العطاء والخير. توضع الحناء في إناء وتوضع وسطه ثلاث بيضات، دلالة على انجاب الأولاد والذرية، وقالب السكر وهو يدل على حلاوة الحياة والمودة بينهما. وأثناء البرزة للعروس، حيث تكون محاطة بوالدتها والمقربات من صديقاتها، تأتي عائلة العريس محملة بالهدية، وهي أطباق مختلفة ما بين الذهب والمجوهرات، إلى الألبسة الداخلية والقفاطين وأثواب التكشيطات، والعطور ولوازم الزينة التي قد

تحتاجها المراة. أما اليوم الثالث فهو ليلة الدخلة التي تمر وسط احتفالات، ثم بعدها ينتقل الحفل إلى عائلة العريس، وهناك عائلات عديدة تنتهي عند ثلاث ليال. لكن والد (بشير) قرر أن يكون العرس أسطورياً حسب تقاليدهم، وقد قدم فيه العديد من الأصناف بداية من قصعة الكسكس بسبع خضروات، مروراً بالدجاج المحمر والبسطيلة. والليلة قُدمت الخرفان مشوية. أما (نجاة) فقد كانت لا تُفوّت صنفاً واحدًا، بالعكس فقد كانت تأكل بنهم، ولا تسلم من ألسنة بنات أعمامها وهن يبدين ملاحظاتهن حول عدم زيادة وزنها رغم ما ترسله لمعدتها في اليوم الواحد من الأكل، لكنها كانت تضحك وتجيبهن:

ـ السر يكمن هنا.

(تشير إلى قلبها) كناية عن أن قلبها خال من الحقد والحسد بخلافهن، فتسارع إحداهن لتلف لها يديها حول ظهرها أما الثانية فتشدها من شعرها، والثالثة تحكم عض مؤخرتها أو أي مكان آخر تقع عليه عينيها، وهن يتوعدن بالمزيد إن هي لم تسحب كلامها.

كل هذا وقهقهات الضحك والصراخ والهرج لا يفارقهن. كن يضحكن على أي شيء مهما بدا تافهاً، ويستمتعن بكل شيء، فلم تكن هناك أي قوة قادرة على أن تجعلهن يكفن عن الضحك إذا ما التقين في مناسبة من المناسبات. حتى الجنائز التي لها حرمتها لم تكن تسلم من الضحك.

أما الآن، تفكر (نجاة) أنه لم يعد هناك في الحياة ما يجعلها قد تضحك، حتى لو اجتمع العالم كله على ذلك فقلبها صار ميتاً.

أشاحت بوجهها وهي تحاول أن تعيق دمعة حاولت الهروب من عينيها، لكنها كالشلال لا شيء يوقفه ليشق طريقه فاستسلمت لها، ثم نهضت ببطء لا لشيء سوى لأنها لا تريد أن تغير من روتين حياتها.

دخلت إلى المطبخ وفتحت البراد، أمعنت النظر داخله بلا شهية ثم سحبت صحناً صغيراً به جبن الماعز الذي لطالما أحبته، والذي وإن لم يكن كالذي كانت تأكله بالمغرب، ذلك الجبن الطازج الذي كان يبيعه الحاج توفيق، لكن على الأقل فهي تأكل منه كلما اشتهته. أخذت حبة طماطم وبعض الزيتون الأسود. كانت تفكر في أن تسلق بيضة لكنها عدلت على الأمر، واكتفت بخبز وزيتون وشرائح الطماطم مع الملح والجبن .

أكلت بلا شهية، وهذا حالها منذ أن جاءت إلى باريس، حيث تبخرت أحلامها وغدت أمرأة بلا اسم، بلا أرض، بلا عنوان، امرأة يطويها النسيان. صارت أنثى مع وقف التنفيذ. فكم كانت تسخر من نفسها وهي من تطلق هذا اللقب القاتل عليها أتحتاج لأن تبكي؟ أجل لكن كيف ستفعل وهي من نست حتى طريقة البكاء؟؟

غسلت الطبق ورتبت الطاولة التي أكلت فيها...

المطبخ.. أليس هذا هو المكان الذي يُسعد كل امرأة؟ فكرت في هذا وهي تتذكر والدتها رحمها الله حينما كانت تدخل إليه بحب حتى في أحلك الظروف. لم يكن حب المطبخ يفارقها حتى حينما تحترق بالفرن وهي تحاول أن تُخرج الخبز الشهي منه أو تلسعها زيت حارقة وهي تلقي بالبطاطس فوق المقلاة، بل حتى والشاي ينسكب عليها، كانت تبتسم وتقول بلسان طيب وقلب عامر بالحب:

-خيراً يارب.

لكن المطبخ ل(نجاة) هو مكان الرعب الذي لا مجال للخطأ فيه، وكأن زوجها ليس زوجها بل جلاد يقف فوق رأسها ينتظر منها أن تخطئ أو لا تخطئ.. فالأمر بالنسبة له سيان. وقذف الاهانات سينتظرها على كل حال بعد كل مرة تدخل فيها لتحضر وجبة، لا لشيئ إلا ليراها تتعذب أمامه.

كانت الساعة تتجاوز منتصف الليل حينما لم تفلح كل محاولات (نجاة) في جلب النوم إلى فراشها، لكنه أبى ففضلت عدم دخولها في صراع تعلم أنها ستخسره وسترهق نفسها فيه. لذلك تذكرت الملف والرقم السري، عموماً هي تعلم جيداً أنها تفتش على المشاكل في هذه الليلة الهادئة.

لكنها وكعادتها لم تستمع إلى ذلك الصوت الخفي وهي تتجه نحو مكتب (ناصر)، وتفتح الجهاز ثم تدخل إلى الملف. فكرت قليلًا ثم حدثت نفسها أن رجلاً ك(ناصر) لن يفوته أنه صار من السهل معرفة الرقم السري، إذا استخدمنا تاريخ ميلادنا، لذلك لن يغامر برقم سهل كهذا. عليها أن تفكر قليلاً.. ربما أحد أصدقاءه، لكنها سرعان ما غيرت رأيها. فمن يعتقد أن رقمها السري لا يمت لها بصلة، فهو عبارة عن نوع رياضة لا تعرفها أصلاً، هذا لأنها ليست هي من فتحت الحساب أول مرة، كان ابن عمها (بشير) والذي استخدم فيه رياضته المفضلة، وكان قد طلب أن تغير الرقم متى شاءت لكنها تستخدمه الأن في كل حاسباتها على الفيس بوك والتويتر، وحتى السكايب وغيره. إذن عليها أن تفكر على نطاق أوسع.. ربما كان اسم والدته. حتى هذه الفكرة لم

تقتنع بها تماماً، لكنها جربتها على كل حال. وهكذا بدأت تفكر وتحاول لكن دون جدوى، وكلما حاولت أن تعدل عن رأيها، تعود مرة أخرى وتفكر في كلمة أخرى.

كانت الساعة قد شارفت على الثانية بعد منتصف الليل حينما طرأت على بالها فكرة، أيكون بهذا الخبث؟

تذكرت حينما تزوجت وجاءت معه إلى باريس، كانت تحاول أن تحدث والدتها على السكايب فطلبت منه جهازه، لكنه وبكل وقاحة طلب منها أن تعطيه حسابها بالكامل. صحيح أن الفكرة لم ترقها لكنها لم تقل شيئا بل منحته حسابها بالكامل وبينما هو يدخل كلمة السر قال:

-كلمة جيدة قد أستعيرها منك..

وألقى نظرة باردة إليها لكنها لم تجبه.. اكتفت بابتسامة مرتعشة.

أدخلت الكلمة بيدين مرتعشتين، وكما السحر فتح الملف. قهقهت حتى أدمعت عينيها منتشية بانتصارها الذي سرعان ما خبا.

كان الملف يحوي أشرطة مصورة، وكل شريط مدون تحته تاريخ. قلبت شفتيها وهي تبحث في الملف، فكرت أن مجهودها راح هدراً، فيبدو أن الأشرطة هي مجرد اجتماعات عمل.

كانت ستغلق الملف حينما قررت فجأة مشاهدة أحد الأشرطة من باب الفضول ليس إلا، ضغطت عليه وماهي إلا ثواني حتى بدأ.

** ** **

(٣)

كان هناك مجموعة من الرجال، لم تر زوجها بينهم، يجلسون حول مائدة فخمة تضم مأكولات وأصناف عديدة وأنواع راقية من الشراب. ويبدو أن من يصورهم يدقق في كل ما تأتي عليه عدسة الكاميرا، كانوا يستمعون إلى موسيقى شرقية صامتة..

فجأة اتضحت لها الصورة وكأن قطاراً خرج لك وسط المدينة، ليدهسك ويمر سريعاً. كتمت صرختها بكلتا يديها وقد تحجرت الدموع بعينيها، أغلقت الشريط ثم عادت تفتحه ثم تغلقه وهي تسرع برعب إلى الحمام. ألقت بكل ما في جوفها حتى بدا لها أن معدتها ستخرج من بطنها. غسلت وجهها ثم نظرت إلى المرآة، حيث بدا لها وجهها ملطخاً بالسواد.

كانت آثار الماسكارا بادية كوصمة العار الذي دفنت نفسها فيه مع هذا ال..

منعت نفسها بشدة حتى لا تطلق كلمة بذيئة، أو أن شعورها بالتقيؤ هو ما منعها، فعادت مرة أخرى للحوض، وهي تعيد إلقاء آخر ما في جوفها فيه، خاتمة ببصقها لبقع الدم والذي سرعان ما استنتجت أنه من حنجرتها التي سلختها وهي تتقيأ.

بكت كثيراً، بل صرخت.. أجل صرخت بأعلى صوتها، لكن الصوت خرج مكتوماً. فحتى الصراخ لم تعد تقوى عليه. جالت بغير هدى في المنزل كاملًا، تهاوت فوق الأرض وهي تضرب بيدها على فخديها.. كيف لها أن وقعت في الوحل؟ ندبت حظها العاثر.. فكرت أن تتصل بالشرطة وتفضحه.. فكرت أن تقتله، ربما تقطعه لأجزاء وتطعمه للكلاب، ثم

بكت وبكت، بكت بشكل هستيري حتى نامت. لم تكن تعلم كم مر من الوقت وهي تبكي، ولا كم مر من الوقت وهي نائمة، عندما شعرت بيد ثقيلة تشدها من شعرها. نهضت وقد تملكها رعب، صوت ما داخلها أخبرها أن (ناصر) قد عاد وهو من يشدها من شعرها، حتى قبل أن تفتح عينيها، وحينما فعلت رأته أمامها. يقف ولأول مرة منذ زواجها به تقف وتنظر إلى عينيه، لكنه لم يمهلها وقتاً، فقد عاد ليشدها من جديد من شعرها ويجرها إليه كما تجر الخرفان. تأوهت ببطء وهي تنصاع وراءه، كما ينصاع المتهم إلى حبل المشنقة. أوقفها أمام مكتبه ثم سأل وكأنه سيسألها عن شيء عرضي، وكأنها أثناء التنظيف كسرت مزهرية عادية، جاء صوته وهو يخلو من أي تعبير، أجوف فارغ من أي شعور:

-هل لمست أغراضي؟

أغراضي؟؟؟؟

تساءلت ما الذي يقصده بأغراضي؟ هل هي أدوات الحلاقة؟ أو ربما أدوات التزلج، أو ألبوم صور العائلة؟

شعرت برغبة شديدة في أن تلطمه على وجهه، بل وتبصق عليه مُر كل تلك السنوات التي قضتها في فراغ معه، لكنها قالت بصوت متلعثم:

ـ لم أقصد ذلك، لقد كنت...

جذبها من شعرها إليه، وهو يهددها من بين أسنانه:

ـ ستتمنين الموت لكن لن تجديه..

قاطعهما اتصال هاتفي جاء له فأشار لها أن تخرج، ففعلت دون حتى أن تحاول أن تتصنت عليه أو تلتقط كلمة لتفهم من يتصل به في هذا

الوقت.
أغلقت الباب وراءها واتكأت على الحائط وكأنها تلميذة معاقبة، فكرت في خطوتها القادمة وهي تشعر أن تفكيرها وجسدها قد شُلا، ستتصل بالشرطة..
لا، فالقانون هنا لن يحميها على كل حال وربما اعتبرها مذنبة لأنها تدخلت في حياته الخاصة. بل ستجمع حقيبتها وتتصل بالمطار لتحجز في أول طائرة، ستنسخ كل الأشرطة وتعود إلى بلدها وترفع قضية طلاق. أجل ستتخلص من وصمة العار التي أدخلت نفسها فيها وستتابع حياتها وكأنها لم تعرفه. لكن ماذا لو عرف أنها الآن خطر عليه وقرر التخلص منها؟
أرعبتها الفكرة وحاولت أن تفكر كيف ستنقذ نفسها من هذا الوحش الذي رمت نفسها بكل طيب خاطر بين أحضانه؟ وبينما هي كذلك وسط كل ذلك الخوف والحيرة والعجز، خرج هو مسرعاً، وكأنه لم يلمحها أبداً. تنفست الصعداء وسارعت تغلق الباب وراءها، واتجهت نحو غرفتها.. بحثت في درج الدولاب عن جواز سفرها لكنها لم تجده، عادت وبحثت في درج مكتبه عنه وهذه المرة لم تراعي أبداً حسه الدقيق والذي بدا لها الآن مرضاً، أكثر منه ميزة.
كانت تبحث كالمجنونة في كل مكان من الممكن أن يكون فيه لكنها لم تجده، وبينما هي غارقة في البحث سمعت طرقاً خفيفاً على الباب فتجاهلته، لكن يبدو أن الطارق لم يعدل عن رأيه بل تجاوز الحد المطلوب، وأدار مفتاح الشقة دون أن تشعر به وهي وسط كل هذا الكم من التركيز على جواز سفرها وهروبها من الجحيم.

شهقت شهقة كانت ستصيبها بجلطة قلبية، وهي ترى جسد رجل يقف أمام الباب ويقول بصوت حذر:

ـ سيدتي؟

كان حارس الأمن وهو يحدثها بلغته الفرنسية.

رفعت رأسها في ذهول تفكر كيف استطاع أن يدخل إلى هنا، لكنه لاحظ ذهولها فتابع بصوت أهدأ هذه المرة:

-هل أنت بخير سيدتي؟

بذهول وقد شحب وجهها سألت وكأنها لم تسمعه:

-هاه؟؟

بدا على الرجل الارتباك وهو ينظر من حوله إلى تلك الفوضى التي أحدثتها (نجاة) وهي تبحث عن جوازها، ثم قال بصوت رخيم:

-سيدتي هل أساعدك في شيء؟؟

بدت كالمحمومة تهذي وهي تشير برأسها رافضة:

-لا أنا بخير... أنا فقط كنت أبحث عن...أقصد كنت أرتب المكتب..

ثم نظرت إليه وكأنها تراه لأول مرة وسألته باستنكار:

-وأنت كيف دخلت إلى هنا؟؟

عادت إليه صرامته وكأنها ذكرته بمهمته فقال:

-بناءا على أوامر السيد بلعامري..

فغرت فاهها ومعالم الدهشة قد رُسمت على وجهها ثم أطبقته وعادت لتفتحه وكأن الكلمات فجأة ضاعت من بين شفتيها، ثم أطبقته ولم تنبس بكلمة. فرغم أنها لم تسمع بقية كلامه لكنها فهمت ما فاتها...

كانت تعلم أن محاولتها ستبوء بالفشل، لكنها لم تستطع أن تحرم نفسها من المحاولة وبشموخ أنثى منكسرة، مشت بخطواتها الرزينة نحو هاتف البيت لكن الحارس قاطعها قائلا:

-السيد بلعامري قطع الأسلاك قبل أن يذهب.

استدارت نحوه والدهشة تملأ وجهها متسائلة:

-كيف ذلك وهو لم يجلس في البيت أكثر من عشر دقائق وكنت حاضرة لم يلمس الهاتف؟

أجاب بثقة:

-أعتقد أنك مخطئة سيدتي، فأنا رأيته حينما دخل وكانت الساعة وقتها تقارب الرابعة صباحاً..

أومأت برأسها متفهمة ثم دخلت غرفتها دون أن تنطق بكلمة.

كان منذ ساعتين، إذن فقد أخذ كل التدابير اللازمة قبل أن يوقظها.

ألهذه الدرجة هي رخيصة في نظره، لم يكلف نفسه حتى لايقاظها، بل تخطاها وكأنها كيس قمامة وجد بالطريق...

جلست على طرف فراشها وهي تعيد الذكرى، الآن فقط أدركت إجابات كثيرة قبل خمس سنوات... في ذلك الصيف الجميل، حينما كانت ترسم أحلامها فوق غيمة المستحيل..

كانت بالسنة الثانية بالجامعة، وهناك التقت بكريم زميلها بالسنة الثالثة. كانا في بداية الأمر مجرد صديقين قد لا تنتبه لوجودهما معاً، هادئين يلتقيان بالمكتبات وفي نهاية الأسبوع تجدهما على شاطئ الرباط يتمشيان أو يدرسان، وأحيانا كثيرة تشاهده وهو يلعب الكرة مع رفاقه، وفي العطلات الرسمية حينما تعود إلى القرية، يتحدثان

طوال الليل على الفيس بوك. صحيح أنه لم يعترف بحبه لها يوماً، وهي أيضاً لم تفعل، لكن حرارة الحب كانت متقدة كلما التقيا أو صنعا سبباً حتى يلتقيان، ناهيك على أن أحد أهم توابل الحب كان موجوداً وبشدة. فيكفي أن تظهر (نجاة) مع شاب آخر، حتى يعاقبها ويختفي عن ناظريها ليتركها رهينة حيرتها وتساؤلها عنه.

في عطلة الصيف الأخيرة التقيا بمقهى الفن السابع بالرباط، بعد أن تلقت رسالة منه يخبرها أن لديه خبراً يريد اطلاعها عليه..

أنهت تجولها بالمكتبة الوطنية لتلتحق به بالمقهى..

كانت ترتدي جينزا أزرق مع تيشرت بيضاء اللون وحذاء رياضي، فكرت أنها لم تكن متأنقة للقاء غير متوقع على أي حال، لكنها سارعت بوضع عطر خفيف وهي تركب سيارة الأجرة التي ستقلها حيث ينتظرها بالمقهى. ترتيباتها حول أن تبدو على الأقل مرتبة، في نهاية الأسبوع التي تفصلها عن سفرها للقرية، لم تجعل لها مجالا لتفكر في سبب طلبه رؤيتها وإخبارها أن الأمر هام..

ألقت تحية مرتبكة فردها بثقة مبالغ فيها.. أرادت أن تسأله عن سبب إرسال رسالة حتى يراها، لكنها لم تشأ أن تبدو كمغفلة تنتظر أن يعترف لها الفارس عن حبه لها..

سألها بغتة:

-هل كنت بالمكتبة؟

رتبت شعرها وهي تجيب محاولة أن تجعل صوتها هادئاً:

-أوه أجل لكني لم أكد أجلس فيها حتى وصلتني رسالتك..

سحب كتابا من حقيبته أثناء استماعه لردها، ثم وضعه أمامها وهو يقول:

-لقد جلبت الكتاب الذي طلبته أول أمس...

فكرت في دهشة :

ـ هل هذا هو السبب الذي جعله يطلب رؤيتي؟

يبدو أن ذلك بدا على ملامحها فسارع يبرر:

-أوه أرجو ألا تعتبري أن هذا هو سبب طلبي لرؤيتك

تنفست أخيراً الصعداء في حين تابع في جدية وهو يمسح أنفه:

-اسمعي.. في الحقيقة أنت أكثر شخص يمكنني أن أخبره أني أثق فيه، لذلك.. أقصد أن المسألة ليست مسألة ثقة.. في الحقيقة أنت شخص له مكانة كبيرة بقلبي..أقصد كأصدقاء مقربين..لقد كنا أصدقاء..أقصد ربما نحن أصدقاء..

لم تفهم كلمة منه، لكنها حاولت تشجيعه حينما قالت:

-أنت تعلم أكثر من أي شخص أن شعورنا متبادل..

هل قالت شعورنا متبادل؟؟

كان هذا ما طرأ على بالها في تلك اللحظة وهي تراه كدجاجة ذُبحت بسكين من خشب..

نظرت إليه ثم حثته نظراتها حتى يتابع كلامه:

-في الحقيقة أعرف أني لم أنهِ دراستي الجامعية بعد، لكني أرغب في الزواج من إحداهن

إحداهن؟؟؟

هو لم يقل هي، وهذا سبب لها صدمة كبيرة. أبعد كل هذا يخبرها أنه يرغب بالزواج من أخرى؟؟

ابتلعت ريقها بصعوبة، وحينما رفعت رأسها كانت شمس الصيف تقف فوق رأسها تطرقه كمطرقة حداد، لكنها تمالكت نفسها وجمعت بعضاً من كبريائها وهي ترسم ابتسامة باهتة لتجيب:

-أوه جيد. في الحقيقة هذا خبر جيد.. حسنا أخيراً فكرت..أقصد أنك تستحق هذا..

من يبدو كالدجاجة الآن؟؟

كان الأمر يبدو غبياً للغاية. في الوقت الذي توقعت أنه سيطلب يديها هاهو الآن يخبرها عن سره الغامض..

بدت معالم السعادة والإرتياح تبدو على ملامحه جلية، فعاد بظهره للوراء قليلاً وهو يشرب من عصير البرتقال الذي طلبه، في حين نظرت إلى فنجان قهوتها الساخن.. وفكرت أنه كان اختيارا سيئاً ككل اختياراتها..

استجمعت قوتها وهي تسأله سؤالاً نخر بعقلها في تلك الدقائق القليلة التي انفجرب فيها تلك القنبلة على وجهها الجميل، فلم تستطع مقاومته:

-إذن لم لا تخبرني من هي؟؟

بدا عليه التردد وهو يجيب:

-في الحقيقة أنت لا تعرفينها، لكن هذا ليس بيت القصيد؟

اقتربت منه وكأنها ستخبره سراً:

-وما هو بيت القصيد؟

أجاب بصوت خافت:

-هل ستوافق؟

أجابت بحسرة صادقة:

-كنت لأوافق لو كنت مكانها.

قال بخيبة أمل:

-هذا لأنك صديقتي المقربة.

-بل لأني أتمنى فعلاً لو كنت مكانها..

قالت هذا في سرها لكن جوابها له كان:

ـ بالطبع أنا صديقتك المقربة وأعرف طيبة قلبك وأخلاقك أكثر من أي شخص.. صدقاً محظوظة من هي ستقترن بك..

أمسك يديها في امتنان قائلا:

ـ شكراً لك..سأفاتحها بعد الصيف..لقد حصلت على تدريب في شركة والدي ومن المتوقع أن أحصل على العمل في نهاية الصيف.

تساءلت في قلق:

- ألن تكمل دراستك الجامعية؟

ضحك وهو يطمئنها:

ـ ستكون سنتي الأخيرة على كل حال، ثم إن العمل بدوام جزئي..

(مسح على شعره وتابع) لن تتخلصي مني بسهولة يا "تويتي"..

نهرته بجدية وصوت خافت:

-لا تناديني" تويتي" مرة أخرى" كاليميرو"..

أنهيا قهوتهما ثم اقترح عليها أن يتصلا بالرفاق ويشاهدو فيلماً جميعاً، لكنها اعتذرت له بحجة أن عليها أن تجمع حقيبتها حتى تسافر غداً صباحاً باكراً..

ودعا بعضهما ثم تواعدا على البقاء على اتصال طوال الصيف، ذلك الوعد الذي أخلفته (نجاة) فيما بعد..

اتجهت فورا إلى الحي الجامعي، وانشغلت بجمع حقيبتها. وفي الصباح سافرت مع بعض فتيات القرية إلى عائلاتهن..

لم يسمح لها كبرياؤها بالبكاء، لم يسمح لها بالرد على اتصالاته ولا حتى على فتح حسابها على الفيس بوك.

حينما وصلت عانقت والدتها عناقاً طويلاً وكأنها كانت تعلم مسبقاً أنها لن تراها مرة أخرى. أخبرتهم حكايات الجامعة المضحكة و قلدت لهم بعض الأساتذة. أخبرتهم بكل التفاصيل لكنها أخفت تفصيلاً صغيراً يحتل مكانة كبيرة بقلبها..

كريم..

دفنته بسرعة وتخلصت من ذكراه، وحمدت الله أن الصيف حل كنعمة نسيان مقدمة في طبق من ذهب..

كانت تستيقظ على صوت الديكة ورائحة الرغيف الذي تحضره والدتها. تنهض بحماس، فحرارة الشمس تشعرها باكتفاء من النوم رغم تقلباتها بالليل إثر الحرارة الشديدة، أو ربما إثر الذكريات التي لا تخجل من الظهور دون أن يستدعيها أحد، وما (يزيد)ها وقاحة أنها لا تختار وقتاً مناسباً.. فالليل بالنسبة لها ملاذها الوحيد حتى تنتقم من (نجاة)..

تستيقظ فتجد سطل ماء بارد أحضرته والدتها من البئر الذي يتوسط حديقتهن، ثم تدخل إلى غرفة حيث تضع (وفاء) طبلية قصيرة الأرجل، وتفرش الوسائد حتى يجلس عليها، ثم تضع الأم طبق بركوكش بالحليب والزبدة الطرية، وعلى الأرض صينية بها أبريقين من الألمنيوم أحدهما مخصص للحليب والآخر للقهوة. يتناولن طبق بركوكش أولاً ثم بعدها الرغائف والحرشة بالسميد، وأطباق الزبدة وزيت الزيتون والعسل، وهي سيدات الموائد دائماً.. حتى جاء عمها وهو يقترح بنبرة الآمر أكثر منه مقترحاً يحتمل الرفض كما يحتمل القبول.

وخلال أسبوع، قبل حتى أن تستوعب ما يحصل وإلى أين سيحملها قدرها، بل ومن هو هذا السيد (ناصر) بلعامري الذي تتحدث قريتها جميعا به، وتكاد الألسن لا تنطق إلا به، وبثراءه الفاحش، وثقافته الواسعة، وأخلاقه..

في ذلك الأسبوع الوحيد الذي كان يفصلها عن زواج لُعبت أوراقه بين عائلتين، كل منهما رآى فيه مصلحة له، لم تر ذلك الزوج المستقبلي إلا مرة واحدة أو مرتين، إذا ما اعتبرنا إحداها تلك اللحظة التي خرجت فيها من الخيمة في ليلة عرس (بشير) حينما كانت تتمازح مع بنات عمها.

تزوجت (نجاة) وهي لا تعرف عن الزوج سوى الاسم والمكانة الاجتماعية، كأنها أمة وليست انسانة لها كيانها. لا أحد فرضه عليها ولكن لا أحد منحها الحق في أن تدلي برأيها، هي لم تقبل وهي لم ترفض أيضاً، لكن كانت تخشى العودة للجامعة مرة أخرى وترى كريم يخبر الجميع عن زواجه بأخرى. صحيح أن لا أحد من أصدقائها يعلم

بحبها له، لكن الجميع كان يرى ذلك في عينيها، بل في أعينهما معاً. فكم من مرة لمّح أحد الأصدقاء أنهما سيتزوجان، وما آلمها الآن أنه لم يكذب يوماً أو ينكر تلك التلميحات، لذلك كان عليها أن توافق على الهرب بعيداً عن أعين كل الفضوليين والشامتين.. أن تهرب من حب لم تشعر باتقاد ناره حتى خسرته.

لكنها نجحت في أن تحتفظ بوعد لنفسها ولا تخلفه طوال زواجها.. ففي تلك الليلة وعدت نفسها ألا تفكر في كريم، وأن تجعل زوجها وبيتها همها الوحيد، وأن تكون نعم الزوجة، كما ربتها دوماً والدتها على الاحترام والطاعة. فحتى لو كانت طالبة جامعة فهي لن تتنكر لجذورها وتقاليدها وتكسر عين عائلتها، فتعود من زواج فاشل، وهو الأمر الذي لطالما رفضته.

في أول ليلة دخلت فيها لشقتهما الجديدة، وطوال رحلة السفر من المغرب إلى باريس، لم يكلمها إلا لضرورة شديدة. كانت تبلع هذه الإهانة بصعوبة، لكن رغم كل ذلك فقد حاولت أن تبني أحلاماً وردية، طوال الرحلة التي كانت تقضيها وكأنها وحدها وليس برفقة رجل المفروض أنهما في شهر عسل. تخيلت حياتها وأولادها، لكن ناقوس الحقيقة دق في أول ليلة، حينما وصلا إلى الشقة الراقية. جالت بعينيها حول المكان، كانت الشقة أنيقة ونظيفة، تشع جمالاً وهدوءا.

ابتسمت له حينما أنهت جولتها لكنه لم يرد ابتسامتها بل قال بهدوء:

ـ"ستجدين كل ما تحتاجينه لأسبوع كامل"، ثم وضع المفتاح فوق طاولة وضعت عليها مزهرية صغيرة من الكريستال الأزرق، يزينها ورد طبيعي أبيض.. فكرت أن المزهرية عندهم خاصة بأدوات لا تمت للورد

بصلة.. فتجد فيها ملقطاً للاظافر، أو الخيط والابرة، أو بعض الأزرار القديمة...

وقبل أن يهم بالخروج قال بنبرة حادة تخلو من أي عاطفة:

ـ لا تفتحي الباب.. ولا تكلمي أحدا...

وخرج..

تركها مدة أسبوع وحدها في بلد غريب. كانت كل ليلة تطمع في عودته، فتلبس ثوب النوم المثير الذي أهدتها إياه ابنة عمها رجاء، وتمشط شعرها البني الذي يصل إلى ما تحت كتفيها وقتها، تجمل وجهها وتضع عطراً جذاباً وتجلس. في كل مرة كانت تسمع صوتاً بالليل تعدل من جلستها فتجعلها أكثر انوثة، لكن سرعان ما تكتشف أن الصوت صادر من عقلها وتهيؤاتها فقط وأن زوجها (ناصر) مايزال غائباً.

وحيث أنها لم تعد قادرة على الإجابة على تساؤلات والدتها، وبنات عمها، أخبرتهم أن مايمنع سماعهم خبراً مفرحاً عن ليلة الدخلة هو دورتها التي طالت هذه المرة، وقد عزت أمها ذلك لنفسيتها وخوفها فقط، وطمأنتها أن الامور ستتحسن.. كانت (نجاة) تتمنى ذلك من كل قلبها.

وبعد مرور أسبوع كامل كانت جل المشتريات ماتزال كما هي.. مرتبة على رفوف أنيقة بالمطبخ وبعضها بالبراد، لأن (نجاة) -ولأول مرة- عرفت معنى أن يفقد الانسان شهيته وسط كل مغريات الأكل الذي أمامه، أجل فللمعدة علاقة وطيدة بالعقل، هكذا فكرت (نجاة)..

كانت تقضي نهارها بين مشاهدة التلفاز والجلوس على الإنترنت، وقد حمدت الله أنها اشترت لأسرتها حاسوباً من مهرها الذي دفعه لها (ناصر)، والذي كان مبلغاً كبيراً ساعدها على حل الكثير من المشاكل، كما دفعت اشتراك الإنترنت والهاتف الأرضي لمدة عام لتستطيع التحدث ورؤية والدتها وأختها كل يوم. ومع هذا الملل، فهي لا تكف عن الحديث معهن، وكم كانت ممتنة لزواج أختها وبقائها في البيت للعيش مع والدتها، فذلك كان يُشعر (نجاة) بالأمان حتى حينما كانت تدرس بالجامعة..

في الليلة السابعة سمعت صوت مفتاح الباب فادعت أنها نائمة.. أجل فعليها أن تنتقم لنفسها ولكبريائها ولأنوثتها. كانت تتابع كل ما يفعله من بين رموشها الطويلة. رأته يدخل، ويشعل ضوءا ركنياً خافتاً لم تنتبه لوجوده طوال ذلك الاسبوع الذي قضته وحدها، ثم اتجه إلى دولاب كبير تتوسطه مرآة كبيرة، وسمعته يزمجر بغضب وربما أطلق كلمة بذيئة، لكنها لم تكن متأكدة مما سمعته ولا حتى لم هو غاضب. أخرج منامة لم تميز لونها الباهت ودخل إلى الحمام وجلس فيه مدة طويلة.

كانت في كل مرة ترفع رأسها وتحاول معرفة ما الذي يفعله كل هذا الوقت، أخيرا سمعته يغلق الدش ويطفئ الضوء، فسارعت لمتابعة تمثيليتها الصغيرة متوقعة أن يخطو أخيرا خطوته المنتظرة، لكن قبل ذلك عليه أن يعتذر لها وبشدة. لكن صدمتها كانت أكبر، حينما خرج وتركها صريعة دموعها وحسرتها على نفسها.

في الصباح نهضت باكراً، وكان يبدو عليها جلياً علامات البكاء وقد شحب وجهها. لم تكن تعرف ما الذي عليها أن تفعله، دخلت إلى

المطبخ ثم بقيت واقفة وسطه، تتأمله وكأنها لأول مرة ستراه، في الحقيقة وكأنها لأول مرة ستدخل مطبخاً. تنهدت وقد شعرت بعدم رغبتها في القيام بأي شيء. أخيراً جاءها العفو من السماء حينما سمعته يصفق الباب، سارعت لتتأكد فتنفست الصعداء حينما وجدت نفسها أخيرا وحدها، فخلدت لنوم عميق، وحينما استيقظت كان الليل قد بدأ يسدل خيوطه الأولى. كانت متعبة، لذلك ارتأت أن تأخذ حماماً دافئاً يساعدها على الهدوء والاسترخاء، ثم أعدت لنفسها شاياً باللويزة حتى يخفف اضطراب معدتها قليلاً، وبينما هي تستمتع بدفئه رن هاتف المنزل ولأول مرة منذ أن وصلت. ترددت كثيرا قبل أن تجيب بصوت مرتعش:

-ألو؟

جاءها صوت امرأة تبدو كبيرة في السن، فصوتها رزين وهادئ:

-ألو (نجاة)؟ أنا خالتك عائشة والدة (ناصر)!

سارعت ترد (نجاة) بصوت أكثر ارتياحية من قبل:

-أهلا..أهلا..خالتي أعتذر لم أعرف صوتك.

-لا بأس يا ابنتي أنا من عليه أن يعتذر فمنذ وصولك لم أرحب بك، لكن لم يكن لدي رقم الهاتف وكما تعلمين الصحة بدأت تقل، ولا أعرف حتى شقتكما (ثم تابعت بصوت أكثر مرحا مما يسمح لها سنها وصحتها) لكن بما أنه أخيراً قرر ابني أن يرتبط فلابد أنك ساحرة تملكت قلبه، واكاد أجزم أنه لم يستطع مقاومة سحرك..

كانت (نجاة) تستمع لها دون أي تعبير، ما جعل المرح يتراجع في صوت المرأة، وكم آلمها عدم استطاعتها مسايرتها، فقلبها وقتها لم يعد

يستطيع التحمل، شعرت به ينكمش بداخلها ويبكي كطفل فقد والديه أمام عينيه وهو حتى لا يعرف معنى اليتم، لكن فطرته جعلته يعلم أن هذه الكلمة قاسية جداً.

قاطعت الخالة عائشة حبل أفكار (نجاة) وهي تتساءل:

-الو؟ ابنتي هل أنت على الخط؟

سمعتها تتحدث إلى شخص آخر تخبره أن الخط قد انقطع فسارعت تجيب:

-الو..الو هل تسمعيني الآن جيداً؟ أعتقد أن هناك مشكلة ما في الخط..

ادعت ذلك حتى لا تبدو كما لو أنها لا ترغب بالحديث مع السيدة التي كانت تدعوها للغذاء يوم السبت هي و(ناصر)، فلم تجد سبباً للرفض، خصوصاً وأنها لم تقابل أهل (ناصر) بعد..

حينما عاد في ذلك الليل المتأخر، دق الباب وحينما فتحت له ألقى تحية باردة وقبل أن تجيبه قال:

-خمس دقائق وعشرون ثانية!!

علامة الاستفهام التي بدت على ملامحها وقتها جعلتها تبدو وكأنها رأت شخصاً ينزل من الفضاء لأول مرة، وقبل أن تنتبه لذلك تركها ودخل إلى المكتب، وبعد فترة خرج إليها يحمل ورقة كتب فيها ملاحظات وتعليمات حول نظام حياتهما، ومن ضمن تلك التعليمات التي بدت سخيفة ل(نجاة) وتصغر من حجمها، ملاحظة كتبت بخط عريض جعلتها تعرف لم كان غاضباً تلك الليلة التي فتح فيها الدولاب.

لأنه في تلك الورقة طلب منها أن تخرج ملابسها من دولابه بل وكل حاجيتها، لأنه شخص يحب الاستقلالية وعدم مشاركة حياته الخاصة مع أي شخص. فكرت حتى زوجته؟ وجاءها جوابه في ملاحظة أخرى حينما طلب ألا تتجرأ على دخول غرفته في وجوده أو غيابه، وتنتقل إلى الغرفة الأخرى، ويمكنها استعمال حمام الضيوف فلا ضيوف يزورونه على أي حال. أعلمها أنه يشرب قهوته كل يوم في الساعة الخامسة بالضبط، وطلب أن يكون فنجانه جاهزاً كل يوم ودون اسثناء.

كانت تقرأ تلك التعليمات بسخرية، بينما كان ينظر إليها ببرود. وجدت تعليمات غريبة للغاية، وفكرت أنه لا يمكن أن يكون جاداً في هذا، ولم تدرك وقتها أنها ستعيش مع رجل بهذا الشكل طوال خمس سنوات. رجل لم يرها يوماً وكأن لا وجود لها. فحتى في المرات التي كان يدخل عليها في غرفتها ويستلقي بجانبها، كانت تشعر وكأنه جثة مستلقية بجانبها. لطالما كانت تتمنى مناقشته، و الاستماع إليه، فقد كانت تشعر أن لديه ما يخفيه. لكنه لم يمنحها فرصة، حتى حينما سألته ذات يوم.

فمازالت تذكر تلك الليلة التي دخل فيها إلى غرفتها واستلقى إلى جانبها، كان ذلك بعد أسبوعين من زواجهما. ابتلعت ريقها بصعوبة وقد آلمها أن تهين نفسها وتفاتح شخصاً لا يحترم أنوثتها في موضوع كهذا، لكنها لم تعد تصبر فتلميحات أهله بدت واضحة في لقائها بهم، وقد أبدى الجميع تعجبه من زواجه المفاجئ بعد اضرابه عنه لمدة طويلة، لكنهم عزو ذلك لجمال (نجاة)، ورقتها التي جعلته يذيب ذلك

الجليد الذي أحاط به نفسه. لكن (نجاة) كانت تعلم جيداً أن هذا ليس هو السبب، والآن هي عازمة وبشدة لمعرفة السبب الذي جعله يتزوجها إن لم يكن يرغب بالاقتراب منها.

عدلت وضعيتها لتقابل جسده الذي أطلقه فوق السرير وكأن كل ذراته الحسية معطلة، ثم قالت بصوت جاهدت حتى يبدو طبيعياً:

-بدأت أتحرج من أسئلة العائلة..

خلل شعره بيديه ثم تثاءب ببطء وكانه لا يرغب في الحديث لكنه قال بلامبالاة:

-كفي عن المماطلة وأخبريهم أن الأمور تمت على خير.

شهقت وهي تعيد كلامه بتلقائية:

ـ أكف عن المماطلة وأخبرهم أن الأمور تمت على خير؟

هز رأسه موافقاً وهو يقول بنوع من السخرية:

-أجل هذا ما قلته بالظبط.

(ثم أدار ظهره إليها وهو يتابع) تصبحين على خير.

وتركها تتخبط في حيرتها، لكن لم يكن لديها أي خيار آخر، فاختارت أن تدعي أن الأمور تمت بخير.

** ** **

(٤)

سمعت طرقات خفيفة على الباب، فالتفتت من ذكرياتها لتجد الحارس يقف أمامها. مسحت دموعها بخفة وهي تقول بصوت متلعثم:

-أنا بخير سأخرج بعد قليل..

أومأ برأسه متفهما ثم خرج..

بعد وقت قصير خرجت إليه ثم سألته:

-هل تشرب فنجان قهوة معي؟

أجابها بشكل رسمي:

-لا سيدتي، شكراً.

تفهمت رفضه لكن ذلك لم يمنعها من تحضير فنجانين، تناولت واحداً والأخر وضعته أمامه على الطاولة، ثم توجهت إلى الشرفة، التي تطل على الحديقة. سرحت مرة أخرى في حياتها معه، وهي تفكر فيما ستكون ردة فعله حينما يعود. هل سيضربها كما فعل في إحدى المرات، حينما ملت من هذه الحياة وصرخت بوجهه طالبة الانفصال، فهي لن ترضى بزيجة على ورق برجل لا يقبل بها كامرأة ويريدها كتذكار جميل اقتناه من مزاد علني. لكن غضبه في تلك الليلة جعلها تكتم جروحها بقلبها، فهي لم تستطع أن تصبر على جروح جسدها. فعلى عكس بعض النساء ممن يصبرن على الضرب، فضلت هي أن تتخلى عن أنوثتها وكيانها ووجودها كزوجة لها حقوق. كل هذا سامحت فيه لتعيش بدون ألم جسدي. ترفض أن تنظر للمرآة فترى صورة امرأة ضعيفة تورم وجهها وتركت الجروح علامات وآثار على جسدها، حتى

إذا خرجت إلى أي مكان يعرف الجميع أنها امرأة معنفة. لم تكن تقبل بذلك حتى أنها لم تحضر جنازة والدتها بعد أن انهال عليها بالضرب مرة لأنه وجدها على السلم تتحدث إلى إحدى الجارات المغربيات، والتي أخبرتها أنها تعلم أن زوجها يعنفها، وحينما تقدم نحوهما واجهته السيدة في قوة تفتقر لها (نجاة) مصرحة:

-إن علمت أنك مازلت تعنف زوجتك فسأبلغ الشرطة عنك.. لن أتردد في فعل هذا سيدي..

ابتسم لها في ود غير مفتعل قائلا:

-مرحبا سيدتي أنا أيضا تشرفت بمعرفتك..

ثم التفت إلى (نجاة) وهو يتابع:

- إن أنهيت دردشتك يمكنك اللحاق بي..

تبعته دون أن تنظر إلى جارتها وأغلقت الباب..

ومنذ ذلك الوقت لم ترها، فقد علمت أنها غادرت مع أهلها عند الفجر. لم تعرف سبب رحيلها بعد يومين من حديثهما، لكن لطالما شكت أن له يداً في ذلك والآن هي متأكدة.

عاد حارس الأمن ينتشلها مرة أخرى من ذكرياتها وبالكاد سمعته يقول:

-سيدتي اتصال لك..

اومأت برأسها متفهمة، وضعت الفنجان على طرف الطاولة وهي تفكر من أين سيأتيها الاتصال وقد أخبرها الحارس سابقاً أن الخط مقطوع، وقد بحثت عن هاتفها الخلوي لكنها لم تجده. قلبت شفتيها دلالة عدم معرفتها إجابات على هذه الأسئلة، فتطوع الحارس حتى يخفي

تلك الحيرة وهو يشير لها بيديه نحو الباب وقد أحاطها من بعيد بيديه العريضين:

-تفضلي سيدتي من هنا فالاتصال على هاتف الاستقبال تحت. يبدو أنهم حاولوا الاتصال بك لكن الخط مقطوع.

كانت قد وصلت لمكتب الاستقبال، فأسرعت بخطواتها وهي تأخذ السماعة من يد الموظفة لتجيب بصوت اعتادت نبرته هذه الأيام وهي ترتعش في كل مرة جاءها اتصال:

-الو..

هذه المرة كان المتصل رجلاً ذو لكنة مغربية ثقيلة، غلبت عليها الفرنسية فعرفت من هو بسرعة، فقد كان الأخ الأكبر ل(ناصر) واسمه (يزيد)، ذلك الرجل الطويل القوي وهو من يترأس عائلتهم الكبيرة. الجميع يقيم له ألف حساب، فهو الذي يدير ثروتهم الكبيرة سواء في المغرب أو هنا، متزوج ولديه ثلاث بنات.. لم يرحب أبداً بوجود (نجاة) بينهم رغم أنه لم يقل ذلك يوماً، لكنه لم يكن يفوت فرصة حتى يُظهر لها عدم ترحيبه بها. فحتى حينما توفيت والدتها ولم تستطع الحضور -بسبب الكدمات على جسدها ولأن (ناصر) كان يرفض سفرها- ادعت أنها خضعت لعملية اجهاض صعبة بعدما وقعت عن السلم، والجميع صدق ذلك وتعاطف معها بشدة. لكن (يزيد) ظل بارداً يقف من بعيد دون أن يُظهر أي تعاطف، وقد كان التعامل معه يربكها دائماً، فلطالما شعرت وكأنه يعرف حقيقتهما، حقيقة زواج صوري لغرض في نفس (ناصر) لم تكن تعرفه هي..

أخيرا أجابت بنفس النبرة المرتعشة التي كانت تجيب بها عن كل المكالمات هذه الفترة:

-الو أخي (يزيد) خيراً؟؟

هذه المرة جاءها صوته منكسراً مهزوماً.. لم يكن ذلك الرجل القوي بل بدا من صوته وكأنه شاخ فجأة وقد منعه السعال واختناق صوته من استعادة رباطة جأشه وهو يلقي على مسامعها خبراً لم تكن في انتظاره أبداً:

-لقد نقلوا (ناصر) إلى المستشفى إثر جروح بليغة في الرأس، في حادث مروع..

كانت تسمعه بغير عقل وقد تزاحمت المشاعر بداخلها وانهالت الأسئلة على عقلها كالسهام كلٌ يزرع نفسه في مكان ما...

شحب وجهها مما جعل الحارس يهب لمساعدتها على التوازن حتى لا تقع على الأرض وهو يسألها:

-سيدتي هل أنت بخير؟

بالكاد قالت كمن يهذي:

-اطلب لي سيارة أجرة بسرعة.

وخلال خمس دقائق كانت (نجاة) تشعر وكأن السنوات الخمس التي قضتها معه في عذاب وصمت، في معاناة وموت لم تكن هي بطلتها، بل شخص آخر غيرها يهوى تعذيب نفسه...

دفعت باب المستشفى وهي لا تعرف أين تضع خطواتها، فقد كانت تسير بغير هدى. لم تكن وقتها تعرف ذلك الخليط من المشاعر الذي

انتابها وهي تنظر إليه من زجاج غرفة العمليات والأطباء حوله، تساءلت في ذهول:

ـ هل سيموت؟

صرخت والدته الخالة عائشة بوجهها تنفي موته وتؤكد بقلب أم تؤمن أن الطبيعي أن يدفنها ابنها أولاً، لا أن تدفنه هي، وبالكاد رأتها (نجاة) فارتمت في حضنها وهي تبكي. لم تكن تعرف لم كانت تبكي بتلك الحرقة، أتبكي على شخص سيموت وقلبه عامر بالشر، أم على شخص مريض سيموت دونما فرصة للعلاج، أم تبكي نفسها وهي التي لم تتذوق طعم الزواج، أم كانت تخشى أن يُفضح السر وتُفضح معه اكاذيبها البيضاء التي لطالما نسجتها على مر خمس سنوات، أتراها تستطيع أن تصبر على الأيام القادمة؟؟؟؟

أخيرا خرج الطبيب المعالج وقد التف حوله الجميع يستفسر وكل العيون تطلب خبراً يعيد الحياة إليها.

وقف الطبيب وقد ظهرت عليه معالم الأسى، والفشل، والشفقة، والحيرة، كلها مشاعر اختلطت عليه، بينما تقف (نجاة) بعيداً وتراقب ملامحه. أدركت قبل أن ينطق أنه مات، شعرت بذلك حتى قبل أن ينطق لسانه وقد زادها صراخ الخالة يقيناً. بكت في صمت وانسحبت في هدوء، تجر قدرها العاثر وتبتلع ألمها الذي تكور بحنجرتها حتى منعها من التنفس. التفتت إلى صوت (يزيد) وهو يناديها، لم تكن تعرف ما الذي عليها أن تقوله في تلك اللحظة، لكن (يزيد) أعفاها من الكلام، وهو يقول بصوت أكثر حزماً مما عُرف عادة:

ـ رافقي أمي إلى البيت.. سأنهي إجراءات المستشفى وتصريح الدفن وبعدها سأعود إلى البيت...

أومأت برأسها موافقة ثم عادت أدراجها وساعدت الخالة على المشي وهي شبه غائبة عن الوعي، تهذي بكلام لم تفهمه (نجاة) أو بالأحرى لم تسمعه، فجُل ما كان يشغل بالها وقتها ما ستأتي به الأيام القادمة...

** ** **

(٥)

بعد حوالي خمس ساعات كانت (نجاة) قد لبست ثوب العدة.. جلباب أبيض ووضعت إيشارباً من نفس اللون وحذاءا كذلك. الآن صارت أرملة، وقد بدت صغيرة جداً على هذا اللقب. لقد كُتب عليها أن تعيش لقبين بالاسم فقط، فقد كانت زوجة لم تمارس حقها في هذا اللقب، وهاهي الآن أرملة لرجل لم يكن زوجاً لها أبداً..

تنهدت بعمق وهي تنظر إلى هذا العدد الكبير من الناس الذين حضروا جنازة (ناصر)، الرجل الذي في لحظات كثيرة تمنت أن يموت، لكن الآن وهي تدرك أنه قد فارق هذه الحياة، تمنت لو أنه كان مازال هنا معهم.. على الأقل كانت ستتحدث إليه وستحاول أن تفهم منه لم فعل كل ذلك فيها وفي نفسه..

كانت تبدو كالغريبة في بيت لم تزره إلا مرتين، طوال خمس سنوات: مرة حينما تزوجا وطلبت والدته التعرف عليها، ومرة حينما أجرت عملية القلب الأخيرة.

كانت تنظر إلى جموع الناس، لم تكن تعرف أحداً منهم، لكنها على الأقل تستطيع قراءة الحزن على وجوههم. أجل فلا أحد يعرف حقيقة الزوج المثالي الذي لطالما تمنت نساء كثيرات زوجاً مثله، هذا إن لم يكن عدد كثير منهن تمنينه حتى وهو متزوج منها. فقسمات وجهه الرجولية وبشرته السمراء، مع لحية خفيفة وتلك الكاريزما المحيطة به، تجعل منه رجلاً مثالياً. سرعان ما تغير وجهها وقد تذكرت تلك الأشرطة التي شاهدتها على الجهاز، جعلها تشعر بالتقيؤ فسارعت إلى الحمام، أرجعت كل ما في بطنها وشحب وجهها حينما خرجت إلى الصالون

حيث تجمع عدد كبير من المعزين. لا حظت أن بعض العيون المتطفلة تحاول أن تعرف إن كان ما يدور في عقولهم صحيحاً، لكنها أبعدت وجهها عنهم وهي تتابع (يزيد) الذي تقدم نحوها مشيراً لها أن تتبعه. دخلت مكتبه وهي تُحكم الشال حول عنقها، ليس لأنه ينزلق من عليه لكن حتى تخفي توترها، فمؤخراً باتت تخشى أن ينكشف ذلك السر أكثر مما كان يخشى (ناصر) رحمه الله.

-تفضلي بالجلوس زوجة أخي أرجوكِ..

جاء صوته رسمياً أكثر مما توقعت.. أو أكثر مما اعتاد عليه..

جلست على نصف الكرسي وكأنها تتأهب للنهوض بسرعة، لا حظ ذلك لكنه لم يعلق بل تابع بشكل رسمي:

-يبدو أن إجراءات نقل الجثة تتطلب وقتاً أكثر، ورغم عدد المعارف لدي بالسفارة إلا أن الأمور صارت مؤخراً أكثر تعقيداً.ثم أن الشرطة لم تنته من التحقيق بعد.. على أي حال فأنا سأقوم هنا بكل ما يجب، وقد تكلفت بإجراءات سفرك أنت وأمي إلى المغرب، حتى تكونا وسط العائلة لعل ذلك يساعدكما قليلاً..

كانت ترغب كثيراً في معارضته، فقد شعرت وكأنه يحاول أن يسرع سفرهما ربما لغرض يعرفه وحده...

لكنها لم تستطع مقاومة ذلك الاشتياق إلى بلدها الحبيب، ودفء ترابه وحنان عائلتها التي لم ترها مدة خمس سنوات، اللهم إلا بعض الأحاديث القصيرة على الإنترنت.

فاكتفت بالتعليق قائلة:

-لكني لم أجد جواز سفري، فقد..

قاطعها مجيباً:

-لا تقلقي لقد وجدته الشرطة في حقيبة أخي وقد سلمتني إياه، في الحقيقة لم أكن أرغب في إزعاجك فتدخل أحد معارفي وأحضره لي..

لم يطل بقاؤها هناك، فقبل أن يصل الصباح كانت تركب على أول طائرة تتجه إلى المغرب.

طوال مدة السفر وهي تعيد شريط حياتها خلال تلك السنوات الخمس التي قضتها بصحبته. تساءلت كثيراً كيف قضت معه خمس سنوات تراقب عقارب الساعة؟

الساعة السادسة توقظه من نومه.. وعند السادسة والنصف تطرق طرقتين على باب الحمام، بعد أن تجهز فوطته يلفها حول خصره ثم يرتدي بذلته التي جهزتها ليلاً بعدما لمعت حذاءه و حضرت جواربه، و ملابس داخلية و التي كلها بيضاء. يخرج و رائحة الصابون تنبعث من جسده، ينتظر مغادرتها ليرتدي ملابسه، وبحلول الساعة السابعة يجد فطوره جاهزاً، فنجان قهوة وبسكويت من القمح الصلب مع مربى الفراولة الذي تعده له (نجاة) بيديها وكأس عصير الليمون الطازج الذي تعصره له قبل جلوسه على الطاولة بدقيقتين، وجريدته اليومية تطويها وتضعها على الصينية أيضاً.

في السنة الأولى من زواجهما لم تستطع أبداً التأقلم مع طباعه التي لا يختلف اثنان على أنها طباع رجل مريض.. كانت في كل مرة تنسى شيئاً و لو بدا تافهاً، لكنها لطالما صُفعت على وجهها أو جُرت من شعرها في بلد يمنع وبشدة العنف ضد المرأة. لكنها كانت تصمت، لا لشيء سوى لأنها جُبلت رغم ثقافتها على أن المرأة التي تشي بزوجها أو تشكوه

للشرطة لا تصلح لأن تكون زوجة، كما أن المراة المطلقة إنسانة وُصمت بالعار. خشيت كلام الناس، فالعيب في نظرهم دائماً ما يكون لصيقاً بالمرأة، بينما الرجال معصومون منه...

بكت حتى انطلقت آهة من أعماقها، ولأول مرة بعد خمس سنوات تبكي أمام شخص غير نفسها. ربتت الأم على يديها بحب دون أن تنبس ببنت شفة وتنهدت وهي تلقي ببصرها من وراء النافذة تنظر إلى الخواء..

فالله وحده يعلم فيما تفكر وقتها.

بعد ساعة من نزولهما من الطائرة وفور انتهاء اجراءات دخول البلد، كانتا داخل سيارة ال(بشير) التي تحملهما إلى القرية حيث وجدتا أهلها في انتظارهما، وقد تكفل القايد بالجنازة.

عانقت كل من أتى في طريقها وبكت مر سنين الغربة وهي تتنفس أخيرا هواء القرية ونسيمه. تلقت تعازي الجميع وقد انبعث إلى مسامعها ترتيل القرآن، أما أنفها فقد داعبته رائحة الكسكس الذي لطالما اشتهت أكله. شُيدت الخيام وفُرشت بالزرابي ووضعت موائد مستديرة، وكل مائدة دار حولها عشرة كراسي ووضع عليها صحنين من العسل الأصلي، وآخرين من الزيتون الأسود المالح وآخرين من الزبدة الطبيعية وكؤوس القهوة وأرغفة الخبز، وبهذا يكون الفطور جاهزاً لكل من رغب فيه..

أما الغذاء والعشاء فقصاعي الكسكس بسبع خضار باللحم بعدما ذبح أهل الحاجة العجل لهذه المناسبة الأليمة.

كانت القرية تجتمع جميعاً في كل مناسبة كبيرة كانت أو صغيرة، في السراء والضراء، فهم يد واحدة، وهذا ما كان يُشعر (نجاة) بالأمان.
سألت جارتهم الحاجة (خديجة) عن بنات عمها، فلا واحدة منهن ظهرت، فأخبرتها أن (صباح) تنتظر مولودها الثاني ولم تستطع المجيء، أما (رجاء) فقد انتقلت للعيش في اسبانيا مع زوجها ولا يوجد سوى (فاطمة) التي تقطن بتيفلت والتي اتصلت لتخبرهم أنها ستأتي مع زوجها بالليل.
تفهمت (نجاة) الأمر وكم شعرت بأنها تغبط بنات عمها على حياتهن الهادئة، فقد صار لكل واحدة منهن حياة مستقلة وهن اللواتي كن يحسدنها على زواجها المثالي. مسحت عرقاً بدأ يتصبب على وجهها فجأة وحينما رفعت رأسها بدت لها أختها (وفاء) وهي تسارع لضمها، فحينما وصلت لم تستطع أن تبقى معها كثيراً. قالت بصوت محبب:
ـ آه يا ابنة أمي وأبي.. لم أشبع منك ومن رائحتك..
ضمتها (نجاة) في صمت وهي تتنفس رائحة أختها التي اختلطت بالحناء والقرنفل والورد، خلطة لطالما اشتهرت بها (وفاء) التي كانت تسعى لتنعيم شعرها، عكس (نجاة) التي لطالما تمتعت بشعر أملس يشبه والدتها الطيبة. نامت (وفاء) بجانبها تلك الليلة، وبقيتا حتى الفجر وهما تتحدثان عن كل شيء إلا عذابها، بل وقد تفننت (نجاة) في نسج حكايات حوله وحول طيبته وروعته وهدوء حياتهما، وفي كل مرة كانت تتذكر تلك الأشرطة يخالجها شعور بالذنب لأنها تكذب على أقرب الناس على قلبها. أما (وفاء) فقد كانت أحياناً تشتكي من الأولاد وكيف أنها ندمت لأنها انساقت خلف فكرة أن تُنجب له ولداً، لكن

الله أراد لها أن تكون خلفتها من البنات فقط. ورغم أن سعيد زوجها رجل لم يشتك أبداً، بل بالعكس كان يبدي سعادته في كل مرة كان يمسك فيها طفلته الجديدة، لكن هي تشعر بأنها غير كاملة..

ابتسمت لها (نجاة) وسارعت دموعها مهرولة من مقلتيها، تحرر نفسها. فلا أحد يشعر بالنقصان أكثر منها، ورغم ذلك لم تشتك لأحد سوى ربها الكريم. حتى في صلاتها كانت تكتم شكواها حتى لا تسمعها أختها التي بجانبها. كانت تبكي بين يدي ربها في صمت تطلب أن يغفر كذبها المتواصل، فلا حيلة لها على فضيحة لن تستطيع أبداً محوها..

جلست عشرة أيام في القرية حتى انتهت مراسيم الجنازة وخفت الأرجل، وبعدما لم يتصل (يزيد) يخبرهما بموعد العودة ارتأت ان تفعل ذلك بنفسها. شعرت وكأنه يحاول أن يُثنيها عن ذلك لكنها أبدت إصرارها على العودة فوافق، فكان لها أن عادت مع الحاجة بعد يومين من مكالمتهما.

اتجهت إلى شقتها فور وصولها إلى باريس وقد اتفقت أن تقضي نهار الغد برفقة الحاجة في شقتها.

لم تستطع تلك الليلة النوم أبداً، فرغم أنها كانت تقضي ليالي طويلة وحدها، إلا أنها لسبب ما الآن جفى النوم عينيها. قامت فتوضأت ثم حملت كتاب الله وفتحت سورة يوسف، لطالما شعرت أنها تدخل السكينة على قلبها. قرأتها حتى غلبها النعاس وفي الصباح تناولت فطوراً خفيفاً ثم ارتدت ملابسها واتصلت بشركة التاكسي، وحينما حضر اتجهت نحو بيت حماتها..

لم تعرف لم شعرت بقلبها ينقبض وهي تخطو أولى خطواتها خارج السيارة، وقد زاد قلقها حينما رأت شرطيين يخرجان من باب الفيلا، مرا بجانبها يتحدثان الفرنسية وقد بدا صوتهما عالياً لكنها من شدة قلقها لم تفهم ما كانا يقولانه. سارعت بخطواتها وهي تقطع الممر الفاصل بين الباب الرئيسي وباب الفيلا الذي كان مفتوحاً، دخلت فوجدت الحاجة منهارة فوق الأرض، و(يزيد) يحاول أن يهدئها دون جدوى.

ارتعشت اوصال (نجاة) وكأن خبر موت (ناصر) قد جاء الآن فقط..

ابتلعت ريقاً جافاً بصعوبة وعيناها تدوران في محجريهما، تحاولان أن تعرفا سبب انهيارها بهذا الشكل، لكن الحاجة كانت وكأنها لم تشعر بوجودها.. تلطم وجهها، وتهذي كمن أصيب بالحمى..

اقتربت منها (نجاة) وهي تتساءل بصوت مخنوق، يكاد يُغمى عليها من هول ما تخاف أن تسمعه:

-أمي ما الذي يحدث؟؟

رفعت عينيها الباكيتين وهي تمسك وجهها بين يديها المرتعشتين، وبدون مقدمات سألتها ودقات قلبها قد استقرت بحنجرتها الضعيفة:

-هل صحيح أن (ناصر) كان مثلياً؟؟

** ** **

(٦)

شهقت (نجاة) وقد حاولت أن تتراجع للوراء، لكن الحاجة أحكمت قبضتها على وجهها وهي تتوسلها:

ـ أخبريني هل هذه البطن (خبطت بطنها خبطة قوية وهي تتابع) تخبطت تسع شهور وتحملت وجعاً لا يتحمله جبل، فقط لتُحضر وحشاً لهذا العالم؟؟ هل كان ابني يشتهي الرجال؟ بل يمارس ما حرم الله معهم؟ أخبريني و لا تصمتي.

تلك اللحظة منعت (نجاة) لسنوات طويلة من النوم، فقد ظل صوت الحاجة يحاصرها طوال حياتها. لكن في تلك اللحظة أيضاً شُل عقلها، لم تفكر أبداً فيما يمكنها قوله. كانت تعلم جيداً أنها لا تستطيع الصمت، وحتى إن تمنت أن تصاب بالخرس، فالله لم يستجب لأمنيتها وحبال صوتها ما تزال تعمل، فالصوت بداخلها يصرخ مع صرخات الحاجة منضماً إليها يطالبها بالبوح وعدم الصمت. أخيراً قالت بثقة لم تعرف من أين جاءت بها، لكنها ثقة جعلت الحاجة تهدأ قليلاً:

-لا يا أمي من قال هذا؟ أنت أكثر من يعرف (ناصر) فقد ربيته، كل هذا افتراء من الحاسدين..

قاطعتها بحزم:

-أقسمي.. أقسمي لي أن زواجكما كان حسب الشرع والدين، وأنه لم يكن زواجاً صورياً، أقسمي أنك كنت له الزوجة وكان لك نعم الزوج..

قاطعتها بحزم ودون حتى أن يرمش لها جفن:

-أقسم يا أمي أنني كنت له نعم الزوجة كما كان لي نعم الزوج، وأن كل ما سمعته مجرد أكاذيب لفقها الحاسدون..

كان (يزيد) يتابع حديثهما في صمت، وحينما بدت له والدته ترخي قبضتها على (نجاة)، وقد انبعث الأمل من جديد في عينيها، سارع إليها يساعدها على النهوض وهو يؤكد كلام (نجاة):

-ألم أخبرك يا أمي أن كل هذا مجرد أكاذيب، وأنني سأقتص ممن سولت لهم أنفسهم حتى يلوثوا صورة أخي النقية..

أومأت برأسها وهي تربت على يديه متمتمة بكلام لم تسمعه (نجاة) لكنها فهمت أنها تدعو له بالخير

مسحت على وجهها وقد تنفست الصعداء أخيراً، فلم يكن أمامها حل سوى أن تكذب.. فليسامحها الله.

لكنها لم تكن قادرة على رؤية أم تتعذب، لقد تخيلت في تلك اللحظة والدتها، ولأول مرة حمدت الله أنها قد فارقت الحياة قبل أن تعيش مثل هذه اللحظة الأليمة، فتعلم أن ابنتها كانت تعيش مع رجل مريض مثله.

في وقت لاحق حينما استطاعت أخيراً أن تقنع الخالة أن تشرب دواءها حتى تنام بهدوء وحينما اطمأنت فعلاً لنومها، جاءتها مدبرة المنزل تطلب منها النزول لرؤية (يزيد) الذي كان ينتظرها بالطابق السفلي بمكتبه الأنيق.

دخلت بخطوات بطيئة تجول بعينيها حول المكان، وشعور بعيد يخبرها أن (يزيد) يحمل لها أخباراً ربما قد تقلب موازين حياتها. فنظراته لها وصمته الرهيب يجعلها تتوجس خيفة منه. لعقت شفتيها وهي تبلع ريقها بصعوبة، فمد لها كأس ماء بارد لم تستطع مقاومته فأخذته شاكرة.

شربته دفعة واحدة فلمع بريق غريب بعينيه وهو يتابعها كفأرة محاصرة تعرف أن موتها قادم لا محال.

-لم أكن أعلم أن الحاجة غالية عندك لهذه الدرجة؟

لمحت بعض السخرية من نبرة صوته وكلماته التي قذفها في وجهها دون مقدمات، لكنها حافظت على هدوءها قدر الامكان، فأكثر ما تحتاج إليه الآن هو هدوءها الذي لطالما عُرفت به وامتازت في حل مشكلاتها به:

-لم أقل سوى الحقيقة، فلقد كان زوجي نعم الزوج وكل ما قيل عنه- رغم اني لا أعرف من أين جاءت هذه الأكاذيب- كل هذا مجرد افتراء وتشويه صورة..

قاطعها وقد بدت سخريته أكثر وضوحاً:

-رويدك.. رويدك يا زوجة اخي المحترم، على من تظنين نفسك تكذبين؟

فتح ذراعيه على طريقة مسرحيات شيكسبير وهو يتابع:

ـ لا يوجد سوانا بالمكتب، وكلانا نعلم علم اليقين ما كان عليه المرحوم.

فتحت فمها ثم أطبقته، لتعيد فتحه وتطبقه مرة أخرى عاجزة عن إيجاد كلمة مناسبة تقولها، لكنه لم يمهلها وقتاً حتى تستعيد وعيها وتدرك ما يقصده من كل هذا..

ـ الحياة قاسية يا زوجة أخي المحترمة، وكما تعلمين قد يعيش المرء ألف سنة وهو يبني سمعته الحسنة ويخفي كل عيوبه حتى عن أقرب الناس، لكن إذا ما شعر أن اقتراب حقيقته باتت على شفا حفرة، فوقتها قد يجن ويسعى لفعل أي شيء فقط ليحمي تلك السمعة.

كانت تسمعه بنصف عقل ونصف أذن وقد جف حلقها فجأة وتسارعت دقات قلبها، بدأت الصور تتداخل بعقلها مصدرة أصواتاً كالطبول وقد علا طنين أذنيها، ستقع حتماً.. ستقع على الأرض.

كان هذا آخر ما فكرت به قبل أن تستيقظ وتجد نفسها على سرير ناعم وغطاء دافئ. أدارت رأسها ببطء حول المكان فلم تعرف الغرفة، بل لم تعرف حتى المكان. حاوت النهوض لكنها عجزت، فدوار رأسها منعها وكأنها تركب سفينة كبيرة، والسفينة تتوغل داخل البحر.. تكاد تسمع صوت الأمواج قريباً منها..

ـ يا إلهي أين أنا؟؟

ـ سيدتي هل أنت بخير؟

نظرت نحو الصوت الذي بدا لها مألوفاً بشكل غريب، أمعنت النظر نحو ذلك الجسد الممتلئ لكن أشعة الشمس المنبعثة من نافذة الغرفة كانت تحجب وجهها،

يبدو ان السيدة قد أدركت ذلك فاقتربت نحوها وهي تعيد عليها نفس السؤال:

ـ سيدتي هل تشعرين أنك قد تحسنت الآن؟

أومأت لها برأسها مشيرة بالايجاب، ولفت الغطاء حولها من جديد، وكأنها تحتمي به مما سيحمله لها القدر.. لم تعد تشعر بالأمان فكيف ستشعر أنها بخير؟

ليتها بقيت في قريتها تجري وسط حقولها بالصباح، وتنعم بحكايات والدتها وهي تلتف حول مائدة العشاء، ورائحة الخبز الشهي وكؤوس الشاي وصحن الزيتون الأسود مع الهريسة الحارة وزيت الزيتون أو

الزبدة الطرية، أو حتى ذلك الصحن الكبير الذي كانت تملأه لهم بالأرز والحليب. كم كانت تحب سماع طقطقة الملاعق حينما يفرغ الصحن من الأرز وتبقى هي و(وفاء) تتحاربان بملاعقهما وكأنها سيوف حرب وتتنافسان حول من ستأكل أكثر..

كانتا وحيدتي أمهما، تكفل عمهما بإعالتهما مند أن توفي والدهما. عاشوا في منزل كبير بالقرية عامر بالحب والأمان، لم تستطع (وفاء) متابعة دراستها برغم أنها الأصغر. توقفت حتى تساعد في أشغال البيت ولم تحصل على شهادة الاعدادي، لكن إصرارها كان قوياً حتى تتابع (نجاة) دراستها، ولم تخيبهما هذه الأخيرة أبداً. فقد كانت تحصل على نتائج مشرفة، حتى أنها حينما حصلت على شهادة الباكالوريا وقفت (وفاء) في وجه عمها الذي أصر أن تتوقف (نجاة) عن الدراسة وتتفرغ لأشغال البيت. لكنها لم ترضخ له وسافرت إلى الرباط، حيث درست بجامعة محمد الخامس. سكنت بالحي الجامعي، ورغم المنحة التي كانت تمنحها لها الدولة، إلا أن (وفاء) كانت ترسل لها مبلغاً كل شهر حتى لا ينقصها شيء. لن تنكر خير أختها، فقد كانت لها بمثابة الأم الثانية والأب الذي لم تترب (نجاة) في كنفه.

صحيح أن عمها كان يزعم أنه يصرف عليهن ويتكفل بهن، لكن ذلك كان في السنوات الأولى فقط. ورغم ذلك لم تكن أي واحدة منهن تشتكي، بل بالعكس كن يشعرن بالامتنان لوجوده بحياتهن وطلته عليهن، بل وهيبته وسط القرية. ثم إن علاقتهن ببناته الطيبات كانت تغطي على أخطاءه وإهماله المادي لهن...

وهي الآن تتمنى لو أن تلك الأيام تعود، ليثها الآن تعود خمس سنوات من عمرها.

بكت من جديد، فهي أكثر واحدة تعلم أن ليت و لو لا تحصدان إلا الخواء، فعادت لتلف الغطاء حول جسدها الضعيف من جديد.

سمعت طرقاً على الباب لكنها لم تستطع أن تجيب، لكن يبدو أن الطارق لم يمهلها وقتاً. شعرت بوجوده فحمدت الله لأنها تدير له ظهرها وغير مضطرة للنظر إليه.

ناداها باسمها لكنها لم ترد وقد أغمضت عينيها بعنف.

أطل عليها من فوق الغطاء، فلاحظ أنها تُحكم إغلاق عينيها فابتسم وعاد أدراجه.

في وقت لاحق جاءت مدبرة المنزل تحمل صينية بها خبز فرنسي محمر وشوربة البطاطس بالكريمة والبصل التي تحبها (نجاة)، فشربتها هذه الأخيرة بنهم وشهية كبيرة افتقدتها في الفترة الأخيرة، مما جعل من مدبرة المنزل تبتسم لها وهي تقول بحنان:

ـ على رسلك سيدتي، يمكنك أكل المزيد إذا رغبت.

رفعت رأسها وقد شعرت بخجل وهي تبرر قائلة:

-لم أكل هكذا منذ فترة طويلة، فالشوربة لذيذة وأنا أحبها..

تفهمتها السيدة وهي تبتسم لها متسائلة:

-هل ترغبين بالمزيد؟

اشارت لها بالنفي وهي تقدم لها الصينية وتشكرها..

-ألف صحة وهناء

حينما انتهت من الأكل دخلت إلى الحمام فقد كانت بحاجة إلى ماء دافئ، استحمت وخرجت بعدما تركت الماء الدافئ يساعدها على الارتخاء. تحسن مزاجها بشكل كبير كأن أحسن ما وقع لها في هذا البيت هو هذا الحمام الدافئ ووجود ملابس نظيفة فوق السرير الذي كان أيضا مرتباً وأنيقاً، ورائحة الغرفة عبقة، وكم استغربت حينما أدركت أنها لم تشعر بوجود شخص آخر بالغرفة وهي تستحم..

عادت لتستلقي بالسرير مرة أخرى، وكم كانت تخشى أن تواجهه ثانية. تمنت لو أنها تغمض عينيها وحينما تفتحهما تجد نفسها في شقتها الهادئة..

حينما نزلت إلى الطابق السفلي كانت الساعة تقارب السابعة مساءا فأدركت أنها غفلت عن صلوات كثيرة، لذلك قررت ان تطمئن على حماتها ثم تطلب أن يُحضروا لها سيارة لتقلها إلى منزلها حتى تستطيع أن تؤدي ما فاتها من صلوات، وهذا ما طلبته منهم حينما جلسوا على مائدة العشاء التي أصرت الأم أن تبقى حتى تتناوله معهم..

لم يرفع وجهه عن الشوربة وهو يتساءل بنفس السخرية:

-منذ متى وأنت تصلين؟؟

شعرت بتدفق الدم إلى وجهها، من سؤاله المحرج لها لكنها حمدت الله أن زوجته الطيبة سارعت تغير الموضوع وهي تقول:

-ليتك قضيت الليل معنا يا (نجاة)، فالبيت كما ترين واسع وأمي ما تزال متعبة وأنت أيضاً، فمن سيرعاك هناك؟

ابتسمت لها وهي تجيب بأدب مبالغ فيه:

-أشكر لكم حسن ضيافتكم، لكني سأشعر براحة أكبر في بيتي..

-بيتك؟؟ ظننته بيت أخي..
جاءتها كلماته كالصاعقة وقبل أن تجيبه التفت إلى زوجته وهو يقول:
-امنحيني قطعة خبز أخرى أرجوك.. الخبز الفرنسي حينما يسخن يصبح كالصخر، ونحن لم تعد لنا أسنان قوية كالسابق، كم مرة علي أن...
قاطعته وهي تقضم قطعة خبز بأسنانها قائلة بحزم:
-من ليس له أسنان قوية يمكنه استخدام أنيابه..
تلك الحمرة الطفيفة التي بدت على وجهه وارتباك عينيه جعلتها تشعر بارتياح. أجل فعليه أن يعلم أنها قوية وأنها تدرك جيداً ما الذي ينويه.. ولن تسمح له.
حينما انتهى العشاء الذي كان مشحوناً بالضغوطات، لم تنتظر كثيراً. فقد صعدت مباشرة إلى تلك الغرفة التي كانت فيها، غيرت ملابسها التي وجدتها نظيفة فوق الفراش، ولم تعرف كيف تم تجفيفها في نصف يوم فقط، لكنها لم تفكر كثيراً في هذا، فما أجمل أن تكون ثيابك نظيفة. حينما انتهت طرقت مدبرة المنزل الباب، وحينما فتحته لها طلبت منها أن تنزل إلى المكتب، فالسيد (يزيد) يطلبها.
تأففت في عنف وهي تجيب بكلمات مقتضبة مفادها حاضر.
هذه المرة استعدت جيداً لحديثها معه، فهي ليست غبية حتى تجعله يلوي ذراعها او يأكل حقها كما فعل مع أخته الصغيرة، التي لم يعد لها أثر منذ أن طالبت بتركة والدها ونصيبها بالميراث..
أبعدت تلك الأفكار الشيطانية من بالها، فما أدراها أنه كان وراء سبب اختفاءها، وليس سبباً آخر لا يعرفه سواها، ثم أنها لم تسمع هذه

القصة إلا من (وفاء) والتي قالت إن سيدة من القرية أخبرتها أن لديهم أخت وقد اختفت حينما طالبت بحصتها، فحتى (ناصر) لم يأت على ذكر اسم أخته يوماً. حسنا ربما لم يكن (ناصر) يكلمها أبداً، لكن الحاجة.. كيف ستنسى ابنتها وتتصرف وكأنها غير موجودة؟!

حينما وصلت إلى هذه النقطة من تفكيرها، وجدت نفسها أمام باب المكتب فطرقته بلطف وانتظرت حتى أذن لها بالدخول.

ألقت تحية سريعة فأشار لها بالجلوس، وهذه المرة جلست بارتياح، وقد لاحظ هذا ولم يعلق مرة أخرى. جمع بعض الملفات بين يديه ثم أمعن النظر إليها، بل في الحقيقة لم يكن ينظر إليها فقد كانت نظرته عائمة تطفو حول نقطة لا تراها هي.

سألها بصوت آلي:

-هل تشربين شيئا؟

-فنجان قهوة أرجوك..

طلبت فنجان قهوة، ليس لأنها بحاجة إليه بل لأنها كانت تعلم أنهم سيحضرون لها كأس ماء معه، وكم أحوجها إليه مرة أخرى، فحلقها بات يجف كلما تحدثت إلى هذا السيد المتعجرف.

انتظر حتى جاءت مدبرة المنزل بطلبهما، وخرجت ثم قال وهو يتكئ على مقعده المريح:

-لم ننه حديثنا بعد.. بالمناسبة هل صرت بخير؟

أومات برأسها بالايجاب.. فتابع بتبجح:

-لقد خرجت الأمور عن السيطرة في الآونة الأخيرة، لن تصدقيني القول إن قلت لك أني قد صرفت ما يجعلني أفتح شركة جديدة فقط لأنظف أخطاء المرحوم... آآآآه هؤلاء الشباب دائما ما ندفع ثمن طيشهم..
قلبت شفتيها في امتعاض وهي تقول:
-لست أدري ما سبب هذا الحديث في هذه الأوقات العصيبة.. ألا تعتقد أن الوقت غير مناسب؟
نهض من مقعد مكتبه الأنيق، وقد حمل علبة سجائر لا تقل أناقة عن المكان الذي يجلس فيه وولاعة رأسها كرأس أفعى تنفث سمها في وجه كل من يقف أمامها. اتجه نحو النافذة التي تطل على المسبح، أشعل سيجارته وأخذ ينظر إلى المياه الزرقاء، كان يدرك تماماً ان ما يخطط له لن ينجح إلا بإزاحة (نجاة) من طريقه، وقتها فقط ستصبح التركة كلها من نصيبه.
قاطعت (نجاة) حبل أفكاره حينما بدا لها أنه قد بدأ ينهي سيجارته، وقفت وهي تقول بحزم:
-يبدو أنه لم يعد لنا ما نتكلم فيه، وأنا أريد الذهاب إلى بيتي..
التفت نحوها ببطئ وهو ينفث دخانه الرمادي في وجهها، ما جعلها تتراجع في امتعاض، ثم قال:
-لقد علمت أن أخي قد ترك وصية بخصوص ممتلكاته، ولا أخفيك سراً فلدي حدس أنك ستكونين سيدة الوصية.. أجل فمن غيرك كان سينتقم بها مني؟
- لا أفهم ما الذي تقصده؟

-غداً صباحاً سيقرأ المحامي وصية أخي، وأريدك أن تتنازلي عن نصيبك للعائلة، فأنت طبعاً لن تسمحي أن يذهب إرثها وتعبها لشخص غريب مثلك..

كتمت شتيمة بصعوبة وتنهدت بعمق وهي تجيبه بعصبية:

-(ناصر) يُعتبر حسب الشرع والقانون زوجي.. شاركته حياته لمدة خمس سنوات، إذن لا توجد أي قوة قد تمنعني من المطالبة بحقي..

علا صوته بشكل مفاجئ ثم أسرع ليخفضه، لكنه تحدث من بين أسنانه:

-(ناصر) كان رجلاً مثلياً وأملك كل الأدلة اللازمة لاثبات ذلك، وزواجكما كان صورياً.

ثم تابع بخبث:

ـ وأقل فحص لك يمكنه أن يثبت عذريتك، أم أنك قد فرطت..

قاطعته وقد احتقن وجهها بالأحمر، حتى شعرت أن دقات قلبها تحولت إلى دماغها فجأة وهي تقول:

-كيف تجرؤ على قول هذا؟ أنت أحقر مما كنت أتصوره. لن أبق في هذا المكان لحظة واحدة...

وهمت بالمغاردة حينما أوقفها قائلاً ونبرة التهديد لا تخلو من صوته:

-فكري جيداً.. فلا أحد يحب أن يخسر سمعته وسط قرية ينتشر فيها الخبر كالنار بالهشيم.

كظمت غيظها وهي تضرب يداً بأخرى ثم خرجت، وكان صوت الباب الذي شعر وكأن زجاجه سينكسر، رداً كافياً على أن المرأة التي لطالما وصفها بالقروية ليست سهلة كما كان يظن..

(٧)

في تلك الليلة لم تستطع النوم، تقلبت بفراشها كالمحمومة في كل مرة تنظر إلى عقارب الساعة..

تك..تك.. تك.. تك هذا الصوت يكاد يفجر رأسها، لطالما كرهت نفسها وهي تعد دقاته تك..تك..تك..تك وحينما تعده ستين مرة تعرف أن دقيقة قد مرت، وكم كانت طويلة ومملة تلك الثواني التي تفصلها بين ليلها وصباح أكثر مللاً وباعثاً على الخوف.

أخيراً حل الصباح، وبينما كانت تستحم سمعت هاتف المنزل الذي طلبت من رجال أمن المبنى أن يعيدوا تركيبه بعد عودتها من المغرب، لكنها لم تستطع الاجابة عليه. فمن ذا الذي يترك حماماً دافئاً ومعطراً كالذي تنعم به هذا الصباح وهي بحاجة إليه.

لفت فوطة حول جسدها وأخرى حول شعرها البني الرطب، والذي تنبعث منه رائحة الشامبو المغرية، وعلى رؤوس أصابعها الحافية سارعت إلى المطبخ متجهة إلى البراد وسكبت عصير البرتقال الجاهز في كأس لتحمله معها إلى غرفتها بينما تغير ملابسها.

هذا الصباح قررت ألا تفكر في مشاكلها مع ذلك الحقير الجشع الذي يريد ان يستولي على نصيبها بغير حق، ستنعم بيوم تقضيه لوحدها.

ربما تشاهد برنامجاً تلفزيونياً وتطلب الغذاء من محل البيتزا مع الكولا وبطاطس مقلية، أجل إنها تستحق وجبة كهذه بعد كل ما مرت به.

مر الصباح كما خططت له، لا هاتف يرن ولا أحد يزعجها فيطرق بابها. وعند الظهيرة اتصلت بمحل للبيتزا وطلبت واحدة كبيرة بفواكه البحر مع جبن مزدوج وكولا وعلبة بوطايطوس، وأمام التلفاز جلست

تلتهم ما طلبته. كانت شهيتها مفتوحة للأكل على نحو غريب، ومع آخر قضمة قاطعها اتصال هاتفي.

مسحت يديها وفمها ببعض المحارم الورقية التي يرفقها المحل مع الطلبية، ثم سارعت لتجيب بالرغم من أن صوتاً داخلياً كان يقول لها ألا تفعل:

-ألو

جاءها صوت غريب لم يسبق لها أن سمعته، يتحدث بشكل رسمي ولغة فرنسية أنيقة:

-مرحبا سيدة بلعامري.

من طريقة نطقه لكُنية زوجها ولحرف العين، أدركت أن الرجل فرنسي الأصل، وليس مغربيا قاطنا بفرنسا فقط، وهو يتبع:

ـ معك محامي زوجك الراحل، وبهذه المناسبة أبلغك تعازي الحارة سيدتي..

ـ شكرا لك سيدي هل من خدمة أقدمها لك؟؟

ـ في الحقيقة اتصلت بك حتى نسوي مسألة الوصية التي تركها زوجك قبل أن يتوفى، وحتى أبلغك أنه من الضروري حضورك اليوم إن لم يكن لديك مانع..

-أجل..أجل ليس لدي أي مانع..

-إذن سأرسل لك العنوان والساعة على إيميلك.. هلا أمليته للسكرتيرة أرجوك؟؟

-بالطبع يمكنك تحويلي لها فوراً..

-شكرا لك سيدتي ونهارك سعيد..

-نهارك سعيد.
فوراً تم تحويلها إلى السكرتيرة التي أملتها (نجاة) عنوانها البريدي، وحينما انتهت من جمع بقايا الطعام فتحت بريدها الالكتروني. وجدت الكثير من إيميلات كلها من بعض الاصدقاء والعائلة لتعزيتها، لكنها لم تجد بريد المحامي وبعد لحظات توصلت إليه.
لحسن الحظ أنه يمكنها الاتصال بشركة سيارات الأجرة، واخبارهم عن العنوان الذي ترغب بالذهاب إليه حتى يرسلوا شخصاً مناسباً لها.
كان الموعد في الساعة الخامسة مساءا، ما يكفي لقيلولة هادئة تعيد بها مزاجها وربما حمام سريع قبل الخروج.. لم لا؟
عند الخامسة تماماً كانت أمام مبنى راق، حيث يوجد بالطابق الرابع مكتب المحامي الذي حدثها صباحاً..
تك..تك.. شعرت بدقات عقارب ساعة معصمها تعلن عن الخامسة، موعد يذكرها بفنجان القهوة وحمام (ناصر) المسائي قبل أن تبدأ في تحضير عشائه على الساعة الثامنة.. كيف تحملت كل هذا؟؟
ضغطت الزر الرابع بالمصعد وحينما توقف بدا لها المكتب وقد كُتب على يافطة ذهبية اسم المحامي ومعهد تخرجه.
رنت الجرس ففتحت لها سيدة شقراء أنيقة وجميلة، أدخلتها إلى قاعة الانتظار الفارغة، وهنا فهمت لم جعل المحامي موعد لقائهم على الساعة الخامسة. ففي هذا الوقت يكون قد انتهى موعد العمل الرسمي، لذلك فلن يتوقع زواراً في وقت كهذا، وقبل أن تجلس رأت (يزيد) يدخل مع زوجته ووالدته..

عانقتها أمه بحب وترحيب وسألتها عن حالها، بينما لم ينظر هو لها أبداً، وهي أيضاً لم تكلف نفسها عناء سؤاله عن حاله، كأنه غير موجود بالقاعة. لكنها اكتفت بسؤال زوجته عن بناتهم وأحوالهن، رغم أنها تعتقد أن هذا الرجل كلما كان معها في غرفة واحدة يسحب الأوكسجين منها ويجعلها غير قادرة على التنفس.

دخلوا جميعاً إلى مكتبه، رحب بهم وقدم لهم تعازيه الحارة مرة أخرى ثم طلب من السكرتيرة إحضار خمس فناجين قهوة بدون سكر..

ابتسم وهو يقول مازحاً لتلطيف الجو الذي بدا مكهرباً نوعاً ما:

-انها بداية تبشر بالخير مادمنا اتفقنا جميعاً على فناجين قهوة بدون سكر..

قال (يزيد) بتبجح:

-لا تقلق فنحن عائلة متفاهمة جداً..أليس كذلك يا زوجة أخي؟

التفتت إليه (نجاة) وكأنها تراه لأول مرة ثم أومأت برأسها ايجاباً.

أما المحامي فقد حافظ على روح دعابته وبابتسامة قال:

-جيد..هوياتكم الشخصية من فضلكم..

أعطاه كل واحد منهم بطاقته الشخصية والتي تم تسليمها للسكرتيرة.

بعدها عادت وبيدها ملف أزرق، لا تعلم (نجاة) لم انشغلت بكل هاته التفاصيل.. مثل التنورة التي كانت ترتديها السكرتيرة، والمخططة بخطوط من درجات اللون الرمادي مع قميص أبيض ذو ياقة مرتفعة، وقد جعلت شعرها على شكل ذيل حصان. كانت تتمشى برشاقة كأميرة خرجت من حكايات الأطفال التي كنا نقرأها.

نهرت نفسها وجموح عقلها، فالأمر هنا يبدو أنه يمر بشكل جدي وهي تشغلها شابة جميلة فرنسية؟

ابتسمت في وجه المحامي الذي كان يقرأ الوصية ويبدو أنه قد فاتها الكثير من مقدمات لم تسمعها لكنها تدراكت البعض منها..

"أمي الحبيبة، أعلم أني لم أكن لك الابن الذي لطالما تمنيته، لكن صدقيني لقد قمت بكل ما علي فعله.. أحبك، ثقي دائما أني أحبك وسأظل أحبك حتى بعد موتي، حتى إن علمتُ يوماً أنك لم تعودي تحبينني..

نجااااة"..

حينما سمعت اسمها توقف قلبها عن الخفقان، فلم تصدق أنها ستكون جزءا من وصيته.

"(نجاة) أيتها الجميلة القادمة من مكان لا يوجد بعالمنا هذا، لطالما احترمتك.."

وقتها أمسكت والدته يدها بلطف وكأنها تؤكد كلامه فلطالما عبرت عن احترامها لها، حتى في المناسابات القليلة التي التقتها فيها، لكنها كانت دائمة السؤال عنها على الهاتف..

ابتسمت لها (نجاة)، هذا اليوم لا يسعها سوى ارسال ابتسامات هادئة...

- "انتهى".

هذا ما قاله فرانك المحامي وهو يطوي رسالة (ناصر).

اتجاه الأنظار نحو (يزيد) جعل (نجاة) تدرك أنه لم يخص أخاه في رسالته التقديرية، لكن أحداً لم يعلق.

في الحقيقة فقد عم صمت رهيب، لم يقطعه سواه حينما قال في استهزاء واضح:

-أرجوك سيد فرانك لا تخبرنا أنك جئت بنا كل هذه المسافة فقط لتقرأ علينا رسالة حب من أخينا الذي نعلم جيداً أنه يحبنا..

وضحك ضحكة تمثيلية لا تتناسب مع المكان ولا حتى المناسبة..

أعاد المحامي الرسالة إلى الظرف ثم انتقل إلى ثلاثة ملفات: الأول يحمل شريطاً أخضر والثاني أحمر أما الثالث فكان أسود..

مرة أخرى التفاصيل....

ـ هنا في هذه الملفات كل أملاك السيد (ناصر)، بما فيها الشقة ونصيبه من الشركة وحتى السيارة ورصيده بالبنك، وأيضاً شقة بالمغرب بمدينة مراكش..

تمتم (يزيد) من بين أسنانه:

ـ مدينة مراكش أيها ال... رحمك الله على كل حال

أما الأم فقد كانت منشغلة عن كل هذا بتلاوة القرآن في سرها، و(نجاة) لم تكن تفكر في شيء بل بالعكس كانت تستمع لكل ما يقوله المحامي.. والذي تابع قائلا:

-لقد سجل (ناصر) بلعامري كل أملاكه باسم زوجته (نجاة) بلعامري..

** ** **

(٨)

فتحت فمها اندهاشاً حينما صرح المحامي بهذا، بينما فرحت الأم وقد بدا لمعان عينيها يظهر، أما (يزيد) فلم ينبس ببنت شفة..

-مبروك سيدة بلعامري.. يمكننا انهاء الاجراءات غداً صباحاً، فلا يلزم إلا بعض التواقيع وتسجيل بعض الأوراق..

قاطعه (يزيد) قائلاً:

-بما أن الأمور سهلة فيمكننا إرجاؤها لوقت لاحق، فكما ترى أن زوجة أخي متعبة جداً الآن.. قد نتصل بك حينما تكون جاهزة..

تلعثم المحامي وقد بدا عليه الارتباك، فنظر إليها مستفهماً. اما (نجاة) فوقتها كانت لا تزال تحت الصدمة، فأطرقت برأسها مما جعل المحامي يستسلم لقوله ويوافق عليه.

بعد خروجهم من مكتب المحامي ركبت (نجاة) سيارة أجرة، أما هم فقد ركبوا سيارتهم وانطلقوا في صمت..

هي أيضا لم تقل كلمة واحدة..

حتى بينها وبين نفسها.. فعلى أي حال لم يكن لديها من تتحدث إليه.

لكنها كانت كالمنومة مغناطسياً.. لم تشعر بالطريق إلا حينما صرح السائق قائلاً في توتر:

-سيدتي إنه المبنى الذي طلبته..

أفاقت من غيبوبتها وهي تشكره ثم دفعت له المال، وطلبت أن يحتفظ بالباقي وسارعت لدخول المبنى الراقي ومنه إلى شقتها الهادئة..

لم؟ لم أنا؟ بعد كل تلك المعاناة أهي مكافأة نهاية الخدمة؟ أم بداية عذاب جديد؟؟

تنفست بعمق ودرات حول نفسها في تلك الشقة التي شهدت أنواع عذابها النفسي والجسدي..

في وقت لاحق كانت (نجاة) مستلقية تقرأ في كتاب الله، هذه المرة فتحته وبدأت تقرأ وفجأة بكت، بكت بشكل هستيري حينما قرأت كلام الله :

[أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٦) قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (١٦٧) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ (١٦٨) رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (١٦٩) فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٧٠) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٧١) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (١٧٢) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاء مَطَرُ الْمُنذَرِينَ (١٧٣) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٧٤) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٧٥)] "الشعراء"

ظلت تبكي حتى غفت، ولم يوقظها سوى رنين الهاتف الذي صار مزعجاً هذه الأيام..

ردت وقد بدا صوتها مخنوقاً:

-ألو مرحبا..

كان صوت سيدة سألت في حيرة:

-هل أنت (نجاة)؟؟

-أجل فيم أخدمك سيدتي؟

ران صمت لبرهة مما جعل (نجاة) تعيد سؤالها مرة أخرى، وكما يبدو أن السيدة على الطرف الآخر من الأسلاك كانت تستجمع قواها لتستطيع الكلام، لكن تعذر عليها ذلك لسبب ما فقطعت الخط..

قلبت (نجاة) شفتيها وهي تفكر أنه ربما هي إحدى صديقات (ناصر)، واتصلت حتى تعزيها لكن خانتها عاطفتها وستعيد الاتصال لاحقاً..

هنا عاد الاتصال مرة أخرى فأجابت (نجاة):

ـ سيدتي هل تسمعينني؟

جاءها صوت (بشير) وهو يتساءل:

-(نجاة)؟؟

-أووه (بشير) عذراً فقد كان هناك اتصال من..

قاطعها وهو يسألها في حذر:

-(نجاة) هل صحيح ما سمعناه؟

أحست بانقباض بمعدتها فجأة وشعور بالغثيان، وبمجهود خرافي سألت وهي تضغط على كل حرف:

ـ و مالذي سمعتوه بالظبط؟

جاءت اجابته سريعة وكأنه يرغب بالتخلص من ذنب عظيم:

ـ أنك طلبت من (وفاء) بيع المنزل؟

صرخت في وجهه غير مصدقة:

ـ ماذا؟ كيف؟ ومن الذي أخبرك بهذا؟؟

حاول تهدئتها قائلا:

-اسمعي.. اهدئي قليلاً، لكن هذا ما أخبرتني به هذا الصباح. قالت إنك ترغبين في شراء منزل في مدينة أخرى، أما هي فستلتحق بزوجها في طانطان، لذلك غادرت القرية بسرعة عند الظهيرة..

كانت تسمعه لكن فجأة لم تعد تشعر بما حولها. وهي ملقاة على الأرض سمعت توسلاته أن تجيب، وكأنها تخدرت فلم تعد تشعر بأطرافها...

انتهى الحلم الذي تغربت من أجله.. تحملت هذا العذاب ولأجله عاشت، بيت العائلة الكبير الذي لطالما جاعت والدتها وتعرت حتى تبنيه لهما. لكنها حينما لم تستطع، تبنت (نجاة) ذلك الحلم..

لقد استأمنت أختها، إن لم يكن المرء سيأتمن أخاه فمن عساه يستطيع ائتمانه؟

حينما أفاقت جلست تبكي في صمت رهيب، تكورت في مكانها ودفنت رأسها بين ركبتيها وأطلقت العنان لدموعها..

رجل يشتهي الرجال دون النساء ونسيب يريد الاستلاء على حقها، وأخت نهبت مالها.. ماذا بعد؟

حينما استيقظت صباح غد وجدت نفسها في سريرها، لم تذكر كيف جاءت إليه لكنها حمدت الله أنها لم تقض الليل بطوله على الأرض.

كان جسدها كله يؤلمها..

فكرت أن تعود إلى المغرب، لكن في وقت لاحق غيرت رأيها حينما أعادت الاتصال ب(بشير) الذي أخبرها أن الجميع هنا قد علموا أن الشرطة جاءت إلى منزل الحاجة، وأعلنت أن (ناصر) كان مثلياً ويعمل مع موقع إباحي على الإنترنت كمصور. بل وأحياناً يتجاوز الأمر ذلك،

فيبتز قبلاً كل رجال الأعمال والأثرياء المتورطين بذلك، وكلهم من مختلف الدول العربية.. وما موته إلا تصفيات حسابات وليس كما ظن الجميع مجرد حادث.. قال لها بالحرف الواحد:

-لا أحد يرغب في وجودك بالقرية، أختي لم يعد لك مكان بيننا، فكما تعلمين نحن أناس مسالمين، ليتك أخبرتني بكل هذا لحاولت المساعدة على الأقل..

تفهمته فهو رجل لديه أبناء ولن يرغب في توريط نفسه حتى من أجل ابنة عمه الغالية. إذا كانت أختها لم تتحمل الفضيحة، وحتى قبل أن تعرف مصير أختها الوحيدة اختارت عائلتها الصغيرة ورحلت..

من ستلوم على أي حال؟ أي شماعة ستعلق عليها أخطاءها؟؟

(وفاء)، تلك الأخت التي عاشت معها أجمل ذكرياتها، طفولتها ومراهقتها، شاركتها أحلامها، ووجعها وألمها و يأسها وتفاؤلها.

الأخت التي لطالما كانت تربط نفسها بوجودها، وتقول لولا انك نجوت ما كنت سأرى هذا العالم. فكما أخبرتهما والدتهما أنهم في الأصل ست إخوة.. توفي أربعة قبل (نجاة) ولذلك تم اختيار اسم (نجاة)، لأنها الوحيدة التي نجت من الموت. وبعد سنة جاءت (وفاء) للحياة وقد سماها والدها (وفاء). قال أريدها أن تفي لأختها دائماً، وكأنه كان يعلم أنه لن يطول بقاءه معهم، فقبل أن تتم (وفاء) الأربعين يوماً، غادر هو حياتهن.

تك..تك

تك..تك

الساعة الثامنة مساءا..

عقارب الساعة، ذلك الصوت الذي ينخر بعقلها، يكاد يدمر خلايا دماغها، صارت تسمعه في كل مكان من شدة ما راقبت الساعة الحائطية، أحياناً كانت تغير ساعة معصمها في كل مرة تخشى ألا تعمل. خمس سنوات من الترقب.. خمس سنوات من الانتظار وفي آخر الأمر خسرت كل شيء.

أعادت ترتيب البيت حتى تمنع نفسها من التفكير، وحينما اقتربت من الانتهاء سمعت جرس الباب..

فكرت ربما جاء البواب من أجل النفايات، لكن حينما فتحت الباب وجدته أمامها، أفسحت له المجال بشكل مسرحي دون أن تنطق بكلمة..

دخل وهو ينظر حوله حيث بدت له الأرضية تلمع ورائحة المنزل عطرة..

-هل تشرب فنجان قهوة؟

التفت اليها وهو يجيب بصوت محايد:

-لن أطيل بقائي.. فالوقت غير مناسب..

تفهمت قصده ثم أشارت له بالجلوس فجلس..

جلست قبالته وهي تقول في حذر شديد:

-هل لي أن أعرف سبب زيارتك؟

دخل في الموضوع مباشرة وكم شكرت له هذا لاحقاً:

-تنازلي عن نصيبك..

أفلتت منها ضحكة دون قصد فتداركت نفسها وتساءلت بجدية:

-هل أنت جاد؟

بهدوء قال:

-أجل..(و قبل أن تجيبه تابع) تعلمين بالطبع أن القرية إن علم أحد منها بهذا الخبر، فلن تستطيعي أن تطأ قدمك أرضها..

هذه المرة قاطعته بصرامة:

-لقد عرف كل من في القرية..

التفت إليها ببطئ شديد وبدا وكأن البساط سُحب من تحته، واكتشف فجأة أنه كان يقف على سطح يقع فوق مبنى من عشر طوابق..

استمتعت لبرهة بشكل وجهه وهو يدور حول نفسه كالمجنون قبل أن يتساءل:

-كيف؟ من أخبرهم؟ لقد عشت طوال هذه السنوات أخفي هذه الحقيقة وأسانده حتى لا تفتضح عائلتنا..

-كان الأجدر بك أن تسرع وتعالج أخاك، أن تحميه من نفسه وليس أن تفكر في سمعة فارغة بنيتها لتخدم مصالحك.. الآن أخرج من بيتي فلم يعد يهمني أن تعرف القرية، فالعائلة التي لن تحمي فرداً منها ليس لي حاجة بها، ولم يعد لي هناك من أهتم لأمره، اعتدت الغربة ولن يضرني إن رحت لعالم جديد وتابعت حياتي التي لن أراك فيها..

ابتلع غصة تكورت بحنجرته كتفاحة آدم، وخرج منكسراً ذليلاً...

** ** **

(٩)

كانت تجمع حقائبها، لم يعد لها ما يبقيها هنا.. أو حتى هناك.. لكن رائحة بلدها تناديها، الأفضل أن تموت في بلد يضمها على أن تموت هنا ذليلة غريبة ووحيدة.. ربما تستقر في إحدى المدن، أغادير لطالما تمنت أن تعيش هناك..

ستمر على المحامي حتى تنهي اجراءات التوقيع لتصبح الأملاك من نصيبها.

وقفت تتأمل ذلك البيت الذي شهد فرحها، ألمها، أحلامها، طوال خمس سنوات.. وقبل أن تهم بالرحيل رن الهاتف. في البداية تجاهلته لكن في الأخير وحينما عاد يرن مرة أخرى قررت أن تجيب كآخر مرة باسم (نجاة) بلعامري:

-ألو..ألو من معي على الخط؟

بعدما لم يصلها رد، أقفلت الخط.

وما إن أدارت المفتاح لتغلق الباب حتى عاد الهاتف مرة أخرى يرن، هذه المرة شيء ما بداخلها جعلها تفتح الباب وتهرع للإجابة.

جاءها صوت أنثوي خافت، وكأن صاحبته لا تريد أن يسمعها أحد:

-سيدة بلعامري؟

أجابت (نجاة) في حيطة:

-أجل.

-هل يمكن أن نلتقي.. أريد التحدث معك في موضوع مهم..

ردت (نجاة) بنفس الحيطة والحذر:

-هل لي أن أتشرف بمعرفتك؟

صمتت لبرهة وكأنها تفكر في احتمالات الرفض أو القبول، فحثتها (نجاة) بتأفف، مما جعلها تقول بحزم:

-هل تسمحين أن نلتقي بعد ساعة في بيت حماتك..

استنكرت (نجاة):

-حماتي؟ من أين تعرفين حماتي ومن انت..

-لن تعرفي إلا إذا جئت بعد ساعة.. سأكون هناك.. إلى اللقاء

وأقفلت الخط.

ودون أن تفكر حتى، نظرت إلى الساعة مرة أخرى، ستضطر للإنتظار.

تك.. تك.. تك..تك

تك.. تك.. تك.. تك

لم تستطع الانتظار أكثر.. ستخرج لتستنشق الهواء. مشت كثيراً تفكر في كل الأحداث التي جرت مؤخراً، لم يكن أحد حاضراً حينما جاءت الشرطة سوى (يزيد) ووالدته ومدبرة المنزل، وهي لديها عائلتها بالقرية. حتى الأشخاص الطيبون ليست لديهم القدرة أحياناً على كتم الأسرار..

كيف لم يخطر على بال (يزيد) ان امرأة مثلها لن تسترق السمع ولن تخبر أهلها بسر كهذا؟ بل بأي حق نطلب من الآخرين أن يتكتموا عن أخطاءنا؟؟

مرت نصف ساعة عليها وهي تمشي فارتأت أن تأخذ تاكسي وتتجه نحو بيت حماتها الذي كان في نفس الاتجاه الذي سلكته أثناء مشيها..

وصلت قبل الموعد بخمس دقائق فطرقت الباب، فتحت لها سيدة إندونيسية، تبعتها الحاجة وهي تطلب من (نجاة) أن تدخل معلقة:

-ياربي ألم يخطر ل(يزيد) أن يحُضر سيدة نفهمها أكثر..
تساءلت (نجاة):
-وما بال السيدة التي كانت قبلاً؟
أجابت الخالة:
-لقد اضطرت للسفر فأحد أخوانها توفي..
أومأت برأسها متفهمة ودخلت في صمت، كان البيت مظلماً كئيباً وكأن المطر لم يكف عن الهطول طوال اليوم..
كان هناك جالساً في شموخ خاو، كيف يتمسك إنسان ببرجوازية فارغة في زمن التكنولوجيا والتقدم العلمي وانفتاح العالم على مصراعيه، بل كيف يدافع انسان عن صورة وهمية وهو يعرف أن أرضية واقعه مهترئة جداً؟
جلست وكانت ستسأله عن زوجته لكنها عدلت عن رأيها، جالت بعينيها حول المكان ثم سمعته يتساءل:
- هل جاءك الاتصال أنت أيضاً؟
قلبت شفتيها في غير اهتمام ولم تجبه فحول بصره عنها وهو ينظر في عصبية لساعته.
كانت الساعة قد وصلت للخامسة بالضبط.. فشعرت (نجاة) بوخز عقاربها..
تك.. تك..
ومعها سمعوا جرس الباب فعدلت (نجاة) من جلستها..
دخلت سيدة ترتدي تنورة سوداء وقميصاً أسود بغير أكمام وتضع نظارة كبيرة تغطي نصف وجهها وقد بدا شعرها البني مرتباً..

ذكرتها بالأفلام الأمريكية القديمة، لا تنقصها سوى القبعة وتلك الريشة التي تتوسطها، وقد زادها ذلك الحذاء الأسود ذو الكعب العالي أناقة..

فكرت (نجاة) أنها ليست مغربية، رغم أنها تجيد الحديث باللهجة المغربية نسبياً، لكن في العرف المغربي لا نرتدي الأسود حتى في الأحزان.. ربما هي مسيحية.

أزاحت نظارتها وألقت تحية قصيرة، لكن (يزيد) لم يمهلها فرصة لتتابع حديثها بل أمسكها من ذراعها وهو يسحبها خارجاً..

-كيف تجرؤين على القدوم مرة أخرى إلى هنا.

أزاحت ذراعها من بين يديه ويبدو أنها كانت تنتظر منه هذا التصرف وهي تقول في حزم:

-لا تلمسني مرة أخرى.. أريد مقابلة السيدة بلعامري..

خرجت (نجاة) مسرعة إليها وهي تحاول أن تحثها على المجيء معها:

-سيدتي تعالي يمكننا التحدث في منزلي..

أوقفتها الشابة في أدب وهي تقول:

-أنا لا أتحدث عنك بل عن والدة (ناصر).. لكني أرغب أن تكوني حاضرة أيضاً.

بعصبية أشار لها بسبابته قائلا:

-أخرجي من بيتي وإلا طلبت لك الشرطة..

علا صوتها فلم تعرف (نجاة) ما عليها فعله:

-لن أخرج.. ابتعد عني.. سأفضح حقيقتك..

جاء صوتها الرزين من أول درج السلم قوياً وهادئاً في نفس الوقت، آمرة ابنها البكر:

ـ أتركها..

نزلت الدرج وكأنها عادت تلك المرأة المسيطرة بالبيت الكبير، كما كانت منذ عشرين سنة قبل أن تترك مهامها كأم وزوجة وتختلي بنفسها صامتة..

-أتركها..لا ضيف يهان في بيتي ما دمت حية..

عارضها كالطفل الصغير:

ـ ولكنها ليست ضيفة يا أمي..

نظرتها الحادة التي أرسلتها نحوه كانت كافية لتردعه، فأشارت لها الأم بالدخول وفي أدب مبالغ فيه قالت:

ـ نعتذر منك.. تفضلي..

أومأت برأسها تفهماً ثم دخلت. تبعتهما (نجاة) في صمت وكل جوراحها تتساءل من تراها هذه السيدة التي أثارت حفيظة السيد (يزيد)، وجعلته يخرج عن طوره هكذا وجعلت الخالة تعود بقوة لتمسك بزمام الأمور..

-ماذا تشربين؟

-لا شيء شكرا لك..

وفي حزم شديد سألتها الأم:

ـ ما الذي جاء بك؟ ألم تأخذي نصيبك ووقفت في وجهنا في المحاكم من أجل تلك الدريهمات التي تركها لك والدك؟

لعقت شفتيها وكأنها تفكر في أمور تشتت داخلها، تنهدت قبل أن تقول:

ـ جئت أقدم لكم تعازي الحارة.. آلمني موت أخي بتلك الصورة..

** ** **

(١٠)

فغرت (نجاة) فاهها وأطبقته بل كتمت صرختها التي كادت تنفلت منها بيدها ودون أن ترفع الأم رأسها إليها أجابتها:

ـ شكرا لك، والآن يمكنك أن تغادري..

أدارت إليها ظهرها واتجهت نحو النافذة تطل منها في هدوء، ربما انتظرت فعلاً أن تغادر أو ربما كانت تنتظر أن تنطق أخيراً بكل ما احتبسته بداخلها طوال هذه السنين حينما قالت وكأنها تتوسلها:

ـ هل ستصدقيني هذه المرة، أم أنك تفضلين أن تموتي قبل أن تعرفي حقيقة ابنك المرعبة..

نهرها (يزيد) وأمرها بالخروج قبل أن ينفذ صبره ويستدعي الشرطة، أما (نجاة) فراقبت في صمت بينما اشارت له الأم حتى يصمت. هذه المرة لم يطعها، بل دفع الشابة حتى تراجعت بضع خطوات وقد سقطت منها نظارتها، لكنها لم تنحن لتلتقطها بل قالت في شموخ وكأنها محاربة قادمة من تلك القصص الخرافية التي كنا نسمع عنها ونحن صغار:

-هل ستصمين أذنيك عن الحقيقة مرة أخرى؟ من تحاولين حمايته؟ ابنك الذي مات وحسرة قلبه بداخله، أم ابنك الذي يعيش ويتنعم في خيرك دون أن يلقى عقابه؟ أم أسرة ضاعت بسبب السمعة والمظاهر الخداعة من أجل صورة رسمتموها فصدقتم أنها لن تنكسر يوماً، أو يهطل عليها مطر فيذيب صباغتها وتختلط ألوانها ببعضها.

حاول (يزيد) أن يسكتها لكنها تابعت كالمحمومة:

-أتذكرين يا أمي حينما جئت إليك وأخبرتك أن أخي الكبير يفعل أموراً مشينة، وأني رأيته يتسلل إلى غرفتنا كل ليلة وأني صرت أخاف منه. قلتِ إنني أتوهم هذا، وإن لم أكف عن اختلاق الأكاذيب سوف ترسلينني لأعيش في خيرية، بل صفعتني يوماً على وجهي حينما هددت أن أخبر والدي..

أحنت الخالة رأسها وكأنها خجلت من (نجاة) لأنها تسمع هذا.. حاولت التحدث لكن صوتها لم يطاوعها، جاء ضعيفاً وقد ضاعت جُل الكلمات بحنجرتها..

تابعت الشابة وقد اختنق صوتها مهدداً بأمطار من الدموع ستهطل من عينيها، لكنها وبقوة حاولت أن تمسك نفسها حتى أنها لم تتوقف حينما دخلت زوجة (يزيد) وابنته الكبرى اللتان وقفتا في صمت دون أن يتساءلا عن شيء:

-مازلت أرى الكوابيس يا أمي.. ما زلت لا أستطيع النوم من غير مهدئات. تعالجت عند طبيب نفسي لكن صوت (يزيد) مازال بأذني.. حسيس أقدامه وهو يدير ساقطة الباب، كنت أختبئ داخلي وأغمض عيني بقوة...

صرخ بوجهها كالمجنون:

-اصمتي أيتها اللعينة.. أمي إنها تكذب.. ألا ترين أنها تريد تشويه صورتي أمامكم؟ يمكنني أن أثبت ذلك إنها..

صرخت بوجهه أن يصمت، فصوت داخلها يخبرها أنه قد حان الوقت لتنزع عنها ذلك الكبرياء الفارغ وتنصت لامبراطوريتها وهي تنهار فوقها..

أشارت زوجته لابنتها بالخروج من المنزل والذهاب إلى شقتها، حاولت أن تعترض لكنها استسلمت لاصرار والدتها وخرجت بينما الشابة تابعت:

-كنت أكتم صرختي بل حتى أنفاسي حتى لا أصدر صوتاً، كان يرفع عن وجهي الغطاء، فأدعي أنني في عالم آخر وأني لا أشعر بشيء حولي. حتى في الصباح كنت لا أستيقظ رغم أني لا أكون نائمة حتى أدعي أن نومي ثقيل.. كان يتسحب على رؤوس أقدامه، وينتقل إلى فراش اخي الصغير، الذي لم يكن يبلغ وقتها من العمر سوى تسع سنوات. يرفع الغطاء عنه فأسمع بكاءه الخافت، يكتم فمه فيجبره على الصمت. مازلت أسمع صوت السحاب يا أمي وهو يفتحه، وأسمع تأوهات أخي الصغير.. أسمعه يناديني في صمت، وعند الصباح كانت عيناه يا أمي تستنجدني، تطلب أن أقف إلى جانبه أن أحميه.. لقد كان يغتصبه في كل ليلة يا أمي.. كنت أتخيل كل ما يفعله به دون أن أرى، وحينما أخبرتك لم تصدقيني.. أجل فأنا ابنة النصرانية التي كانت وصمة عار على عائلتكم والتي تشهد خطأ زوجك الذي لم يستطع تحمل عاقبته فمات من حسرته لأن زوجته لم تستطع أن تغفر له خيانته..

كانت الأم تبكي في صمت بينما انهار (يزيد) كجبل على الأرض استطاعت (نجاة) أن تسمع انكساره، كباب زجاجي سقط فجأة.. أما زوجته فقد عضت على يديها وكأنها تكتم آلامها، ووقفت بركن الغرفة في جمود تنصت إلى خطايا زوجها المثالي الذي لطالما سعت لأن تكون له الزوجة الوفية والتي تناسب عائلته المرموقة.. لطالما صبرت على

جبروته واقتنعت أن الزوج هو تاج المرأة، وعليها أن تكون الزوجة المطيعة..

أخيراً تركت سارة، وهو اسم الشابة الذي عرفته (نجاة) فيما بعد، العنان لدموعها قبل أن تسترسل في حديثها:

ـ كان (ناصر) يراقب الساعة طوال اليوم يخشى أن يحل الليل، زاد صمته لم يكن كالأطفال يحب اللعب، كان يجلس في صمت. كنت أراقبه كمراقبته لعقارب الساعة، هل فهمت لم انتظرت أن أبلغ الثامنة عشر وأطالب بتركتي؟ لأني لم أكن أرغب أن ينتهي بي الأمر في مستشفى للمجانين، لم أكن أرغب في متابعة حياتي في عالم مليء بالكذب، لأني عرفت أني لن أستطيع أن أحمي الصغير، هربت من عجزي لكنه لا يزال يطاردني، أنا لا أستطيع النوم فعيناه ما تزال تحاصرني.. لقد التقيت به حينما كان في الجامعة وقد علمت أنه يتعالج عند طبيب نفسي. علمت بميله الجنسي نحو الرجال، واقتصر ذلك على ممارسة هواية التصوير فقط، فما علمته مؤخراً منه أنه لم يمارس الفاحشة مع رجل يوماً، لكنه يعشق تصوير من يفعلون هذا، ويبدو أن أحد أصدقائه المثليين هو من اقترح عليه أن ينضم إليهم. وقبل موته بأسبوع اتصل بي وأخبرني أن الصور التي كان يلتقطها لهم، والأشرطة أيضا تستخدم كابتزاز وبعضها الآخر تستخدم في موقع إباحي على الإنترنت.

بدت والدتهم وكأن الدم انسحب منها فجأة، لكنها بقيت واقفة تسمع ما تقوله سارة، التي وكأن جبلا انزاح عنها. اما (يزيد) فبكل ذلك

الهيلمان انكمش كطفل ضُبط وهو يسرق.. كان يدفن رأسه بين ركبتيه، لم يرفعه عنهما أبدا..

-لقد كان ابنك البكر يعلم كل هذا، لكنه لم يفعل شيئاً، بل تركه دون أن يفكر في جريمته يوماً.. لطالما كره أخي نفسه، وقد حاول كثيرا أن يتعالج. سأل رجال الدين عن هذا، لكن كلهم أخبروه أن هذا الفعل حرام، ولا أحد أخبره ما السبيل حتى يكف عن التفكير، حتى يمنع نفسه.. الآن أخبرتكم وهذه بطاقة الدكتور الذي كان يتعالج عنده، يمكنكم أن تزوروه، سيخبركم أكثر عما أغمضتم أعينكم عنه..

وغادرت..تركتهم في صمت.

جلست الأم وهي تهذي بكلمات لم تفهمها (نجاة)، بل لم تكن في حال أفضل منها، لذلك ارتأت أن تخرج هي أيضاً، وربما من الأفضل أن تغادر هذه البلاد في أسرع وقت...

لكن قبل أن تغادر ارتأت أن تزور الطبيب الذي أعطتهم سارة بطاقته، فأخذتها.

** ** **

(١١)

اتصلت بالطبيب وأخذت موعداً..

دخلت بخطى هادئة، كانت متخوفة مما قد تسمعه، رغم أنها لم تكن متأكدة إن كان سيمنحها أجوبة بخصوص أسئلتها، نظراً لما هو متعارف عن السرية التامة بين المريض وطبيبه. على كل حال هي الآن تنتظر أن تسمح لها سكرتيرته بالدخول، وهاهي تتقدم نحوها بابتسامة مشرقة وأسنان بيضاء كالتي تظهر في إعلانات معجون الأسنان..

استقبلها في حفاوة وكأنه يعرفها، وهذا أراحها نسبياً..

طلب منها الجلوس فجلست على أريكة تتوسط مكتبه حيث أشار لها، وجلس قبالتها. وكأن الزيارة غير رسمية، سألها عما تشربه فطلبت فنجاناً من القهوة.

بدا عليها التوتر وهي تحاول أن تبدأ حديثاً معه، لكنه سهّل عليها البداية وهو يقول:

-حينما أخبرتني أن اسمك (نجاة) بلعامري، لم أستغرب من اتصالك لأنني كنت أنتظرك..

دعكت وجهها بيديها وقد بدا عليها التشوش، وكأن كل الأمور اختلطت عليها وكأنها وحدها على حافة جبل لا تريد أن تهوي منه، لكن أحداً غير مرئي يدفعها من فوقه.. تشعر بيديه وبأنفاسه فقط لكنها لا تراه..

بمجهود خرافي استطاعت أن تسأل:

-وكيف تعرفني؟

ارتشف من قهوته في هدوء قبل أن يجيب:

-بما أنك اتصلت فقد علمت أنني كنت الطبيب المعالج لزوجك (ناصر)، لقد كان يعرف أنك يوماً ما ستأتين إلى هنا ورأسك مليء بالأسئلة.
صرحت في استسلام:
-رأسي مليء بالأسئلة، التي لا جواب لها
كانت عيناها تنذران بدموع ستتدفق لتغرق وجهها.. حاولت أن تتمالك نفسها لكنها لم تستطع، فأطلقت العنان لدموعها. لم يوقفها بل تركها حتى انتهت ومنحها محرماً ورقياً، مسحت دموعها ثم تنفست بعمق قبل أن تقول:
-أعتذر لم أستطع منع نفسي..
أومأ رأسه متفهما ثم أجابها:
-لا عليك.. زوجك قبل أن يتوفى اتصل بي وأخبرني أنه يشعر أن وقته قد دنى، وطلب إن زرتني يوماً أن أجيبك على كل أسئلتك..
ترددت قليلا قبل أن تقول:
-لقد اكتشفت مؤخراً أن زوجي مثلي..في الحقيقة..أنا.. أقصد أني لم أكن أعلم هذا رغم أني تزوجته وعشت معه لخمس سنوات..
ابتسم لها وكأنها تخبره فيلماً شاهده ألف مرة، فقال:
-زوجك حالة، لا أريد أن أقول إنها فريدة من نوعها، لكنها غريبة بعض الشيء..
-منذ متى وهو يتعالج عندك؟
-منذ أن كان في السادسة عشر من عمره.. زمن طويل لذلك كنا نحاول أن نسيطر على حالته. في مرحلة البلوغ اكتشف ميله الجنسي الغريب

نحو أبناء جنسه من الذكور، شعر بالاختلاف لكنه لم يكن يدرك معنى كل هذا، ومن حسن حظه أنه اختار العلاج. بالنسبة للمفهوم الأوروبي فالمثلية لا تعد مرضاً، بل أن القانون هنا يحترم الحريات الخاصة.. لكني راعيت في علاجه انتماءه الديني. اقترحت عليه في البداية طبيباً معروفاً.. مصري ومسلم، لكنه كان يخشى تلك النظرة له كشخص مثلي، حتى من الطبيب.. وأهم مسألة في العلاج هي الثقة بين الطبيب ومريضه..

كانت تستمع إليه في دهشة، تحاول أن ترتب الأفكار بعقلها فتساءلت:

-هل كان يمارس..أقصد..هل..

تفهم ترددها فأجابها:

-المثلي لا يمارس بالضرورة الجنس مع الذكور، وحالة (ناصر) ناتجة عن صدمة تعرض لها في صغره، حيث كان الأخ الأكبر يغتصبه، وقد تكونت لديه فكرة أن هذه هي الصورة الطبيعية للعلاقات الجنسية السوية، فسنه وإدراكه العقلي وقتها لم يسمحا له بالتفريق بين الصواب والخطأ..

قاطعته متسائلة:

-لكن أخته قالت إنها كانت تسمعه يبكي كلما اقترب منه أخوه بالليل.

أشعل سيجارته وهو يجيبها:

-إنها فطرته ما تدفعه للشعور بأن أمراً ما خطأ يحدث، ناهيك عن الألم المصاحب للممارسة، ثم تهديداته له إن حاول أن يخبر أحداً سيقتله، بل أنه تمادى في تهديداته له بقتل أخته، التي كانت غالية لديه..

-على ذكر أخته، مالذي يجعل (يزيد) يختار (ناصر)، بدلاً من الفتاة؟

-بالنسبة لرجل سوي ستثيره فتاة في مقتبل العمر، تفتحت معالم أنوثتها، لكن (يزيد) كان يعاني أيضاً من اضطربات نفسية، وهو للأسف أيضا مثلي، أو ربما هي حالة مؤقتة. فكما قد ذهب بعض الفلاسفة والمفكرين، أنه لا أحد منا سوي تماماً، لكن قد يحكمنا الدين والمجتمع والقانون..

-هل يعني هذا أن (يزيد) ربما تعرض هو أيضاً لاغتصاب؟

-في الحقيقة لا أستطيع الاجابة عن هذا السؤال، فأنا لم أعالج (يزيد). ربما يكون هذا أحد الأسباب؛ أو ربما شاهد والديه معاً كزوجين، فتكونت لديه حالة نفور؛ أو ربما تكون حالة طبيعية حيث تغلب عليه الهرمونات الأنثوية على الذكورية.. في الحقيقة هناك أسباب عديدة.. أتمنى أن أكون قد أجبتك على أسئلتك كلها..

تنهدت بعمق قبل أن تجيب:

-(ناصر) كان عنيفاً معي، لقد آذاني أكثر من مرة، بل كان يجد متعة في تعذيبي بسبب أو دون سبب.. هل المثلية لها علاقة بالعنف؟

ضحك وهو يجيب:

ـ كلا بالطبع، فكما أخبرتك سابقاً (ناصر) كان يعاني اضطرابات نفسية كثيرة، فالنموذج المعيشي والبيئة المنغلقة التي تربى فيها جعلت منه إنساناً يعاني حالات نفسية مضطربة. لقد شهد عبر مراحل حياته محطات أليمة كثيرة، كالأخت غير الشرعية، والخلاف الكبير الذي عانا منه الوالدين، ثم موت والده منتحراً بتلك الطريقة، وبعدها رحيل أخته التي كانت بالنسبة له الملاذ الوحيد..

دُهشت لسماعها تصريحات الطبيب، فهي لم تكن تعلم أن والده مات منتحراً، بل مات في فراشه إثر مرض كان يعاني منه..

تابع الطبيب:

-عنفه اتجاهك كان رداً طبيعياً بالنسبة له، فكما أنك قد تسعين لدفن بعض الأسرار حتى لا تنكشف خطيئتك، كان هو يحاول أن يبعد عنه الشكوك. فأنت الآن زوجته ومن حقك عليه أن يمتعك بحقوقك الشرعية منه، وحتى لا تبدئي بطرح التساؤلات حوله، كان يبعدك بالتعنيف..

حينما همت بالخروج بعدما شكرته على منحها وقته وكانت ستغادر أوقفها وهو يخبرها:

-لقد عانى كثيراً حتى يكون الرجل السوي الذي تتمناه عائلته، كان يخاف عقاب الله كثيراً، لكنه كان تائهاً يبحث عن الحل الجذري والنهائي. غير أن العلاج من مسألة كهذه يتطلب صبراً قوياً ورحلة أطول ما تتوقعينه للسيطرة على غريزة تقوى بمجرد وجود محفز.. لقد توقف لمدة طويلة عن تناول الأدوية، وعن جلسات العلاج،لكنه بالرغم من كل هذا كان داخله طيباً..

ابتسمت له متفهمة كلامه، ثم تمنت له نهاراً سعيداً..

***

بعد أسبوع كانت (نجاة) تستقل الطائرة نحو المغرب، بعدما باعت كل ممتلكاتها التي ورثتها من (ناصر)، وغادرت حتى دون أن تزور والدته. فلم يعد لديها ما تقوله لها. لكنها عرفت من زوجة (يزيد)، التي التقتها عند المحامي وهي ترفع قضية طلاق، أنها تعيش معها، وقد

طلبت تصفية كل ممتلكاتهم التي بالمغرب، وقررت أن تستقر بشقة صغيرة بباريس، بل ووزعت على حفيداتها بعضاً من المال والباقي تبرعت به على إحدى الجمعيات بالمغرب..

أما (نجاة) فاستقرت بأغادير.. بنت داراً الأطفال المتخلى عنهم، سمتها دار النصر، وعاشت بها وسط أطفال لا تعرف من أين ينحدر كل واحد منهم، لكنها تعلم جيداً أنها تحبهم وأنهم يبادلونها نفس الحب..

لم تر يوماً أختها ولم تسأل عنها، لكنها منذ وقت طويل سامحتها ولم تحقد عليها..ربما في يوم ما ستلتقي بها، وستخبرها (نجاة) أنها لم تكف عن التفكير فيها وأنها تسامحها من كل قلبها.

تك..تك..تك..تك

بعينين نصف مغمضتين مدت يدها إلى الساعة الصغيرة التي تضعها على طاولتها بجانب السرير، حاولت أن تزيل بطاريتها لكنها وجدتها فارغة..

يا إلهي هل تتخيل الأمر؟؟

أنصتت إلى الصوت جيداً...

نهضت ببطء واتجهت نحو الحمام، أزاحت السطل الحديدي من تحت الصنبور..

وابتسمت للهدوء الذي تبعه..وأخيرا نامت..

نامت بهدوء...

تمت بحمد الله.

الكاتبة في سطور

سناء البريتي
كاتبة مغربية.
مواليد مدينة سلا بالمغرب، في ٤ أغسطس ١٩٨٤
حاصلة على دبلوم معهد متخصص بالتكنولوجيا والمكتبيات
صدر لها عدة روايات وخواطر إلكترونية تحت اسم هناء الوكيلي

◄ إصدارات دار الفؤاد للنشر والتوزيع ►

الكتاب	النوعية	المؤلف
دقات على باب الغربة	أدب رحلات	عبد الحميد السنبسي
خفقات دامعة	رواية	رباب فؤاد
خيانة واي فاي	رواية	سلافه الشرقاوي
الخروج من مصر الجديدة	رواية	إسلام محمد عيسى
تحوت..الإله المنتظر	رواية	كريم الشهاوي
شقلب أحوالك	رواية	وليد نبيه
اديني عقلك وامشي حافي	مقالات ساخرة	محمد أبو جاد الله
جرعة نيكوتين - ط٢	مجموعة قصصية	محمد طارق
ثورة محظورة النشر	وثائقي	محمد عبد الغفار
أقرباذين	مجموعة قصصية	محمد سمير رجب
حب في زمن الثورة	كتاب جماعي	كتاب جماعي
أماليا	رواية	ميرفت البلتاجي
رسم قلب	كتاب جماعي	كتاب جماعي
ولادة متعسرة	مجموعة قصصية	دعاء سيف
فابريكا	ديوان شعر	عبده نافع
نقطة.. رجوع إلى السطر	رواية	سناء البريتي
أصل الحكاية	رواية	محمد عبد العاطي


دار
الفؤاد
للنشر والتوزيع